ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ

المهندس عدنان الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. كتاب الله تعالى نور ، أحكامُهُ بيِّنة ، دلالاته يدركُها كلُّ متجرِّدٍ عن تأثير ضغط الموروث وهوى النفس ، عندما يكون باحثاً بمنهجٍ علميٍّ في صياغة نصوصه الكريمة .. فلا حجّة لأحدٍ – في أيِّ مسألة فقهيّة كانت أم عقديّة – مع وجود نصوص كتاب الله تعالى ، وكلُّ من يجادل في نصوصِ كتاب الله تعالى ليثبت تقليداً أو هوى ، لن يُفلح ..

لو نظرنا في الخلافات ما بين المذاهب والطوائف الإسلاميّة ، من العقيدة إلى الفقه ، لرأينا أنَّها نتيجةٌ لعدم وجود تدبّرٍ سليمٍ مجرَّدٍ لنصوص كتاب الله تعالى ، وذلك بجعل الموروث والعصبيّات المُسبقة الصنع وأهواء النفس ، معياراً لدلالاته ، ومنظاراً لا تُرى معاني نصوص كتاب الله تعالى إلاَّ من خلاله ..

.. في هذا البحث ، سنقف عند مسألة تعني كلَّ المسلمين ، تتعلَّق بتحديد وقت الإفطار أثناء الصيام ، هل هو عند غروب الشمس كما تذهب السنّة ؟ ، أم هو بعد ذلك

بدقائق كما تذهب الشيعة ؟ ، أم هو بعد ذلك ، حين دخول الظلام بشكلٍ كامل ، حيث لا يبقى خيطٌ من الضياء ؟ .. للإجابة على هذا السؤال لا بدَّ من الوقوف عند كلمة : ﴿ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [البقرة : 187] ..

.. كلمة : ﴿ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ هي صيغة مصدر من الجذر : (ل ، ي ، ل) ، ولا تُوجَد في كتاب الله تعالى مشتقّات لأفعال من هذا الجذر .. والليل في كتاب الله تعالى يعني : الظلام الكامل ، بحيثيّة لا وجود فيها لخيطٍ من ضياء .. يقول تعالى :

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [القصص : 71 – 72]

.. ما نراه في هذا النصِّ الكريم ، أنَّ الله تعالى يبيّن لنا حقيقة ، مفادها أنَّه بمجرَّد وجود خيطٍ من ضياء ، ينتهي الليل ، وهذا ما يُؤكِّده ورود كلمة ﴿ بِضِيَآءٍۖ ﴾ بصيغة النكرة : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ ﴾ .. فبمجرَّد وجود خيطٍ من ضياء تنتهي حالة الليل ..

.. لو أنَّ الليل يحتمل اختلاطاً ما بين خيوط الضياء وخيوط الظلام .. بمعنى : لو كانت حالتا تداخل الظلام مع الضياء (من الفجر حتى طلوع الشمس حيث الطرف الأوَّل من النهار ، ومن غروب الشمس حتى دخول الظلام بشكلٍ كامل حيث الطرف الثاني من النهار) تابعتين لليل .. بمعنى : لو كانت هاتان الفترتان جزءاً من الليل ، لكان الليل لا ينتهي إلاَّ بالضياء الكامل (أي بالنهار) الذي لا وجود لخيطٍ من الظلام فيه ،

وذلك كون هاتين الفترتين (حيث فيهما الاختلاط ما بين الظلام والضياء) جزءاً من الليل .. لو كان الأمر كذلك .. لما كان النصُّ الكريم بالصيغة : ﴿ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ ﴾ .. فهاتان الفترتان (نعني طرفي النهار) فيهما ضياء يختلط مع الظلام ، وبناء على جهل الجاهلين ، كيف يقول المولى عزَّ وجل : ﴿ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ ﴾ ، للخروج من سرمديّة الليل ، في الوقت الذي تُوجد فيه خيوطٌ من الضياء في طرفي النهار ، اللذين يزعمون أنَّهما يتبعان لليل ؟!!! .. كيف ؟!!! .. فما يُناسب هذا الوهم – الذي لا أساس له إلاَّ في مخيّلة التائهين – هو العبارة : ((**مَنْ إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بنهار**)) ، أي بضياء كامل ، لا وجود فيه لخيطٍ من ظلام ..

.. ألا يقول المتوهّمون بأنَّ هاتين الفترتين (نعني طرفي النهار ، حيث الطرف الأوَّل من الفجر إلى طلوع الشمس ، والطرف الثاني من غروب الشمس إلى دخول الظلام بشكل كامل) جزءٌ من الليل ؟ .. إذاً .. حسب زعمهم ، هما ضمن إطار زمن الليل ، وبالتالي – حسب زعمهم – لا ينتهي الليل إلاَّ بنهايتهما ، أي بالنهار الذي لا وجود لخيطِ ظلامٍ فيه ، لأنَّه يُوجد في طرفي النهار ضياءٌ مُختلط مع الظلام .. فما يناسب هذا الزعم هو العبارة المُفترضة : ((**مَنْ إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بنهار**)) ، أي بضياء كامل لا وجود فيه لخيطٍ من ظلام .. لكن .. ما نراه أنَّ الله تعالى يقول : ﴿ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۖ ﴾ ، أي : بخيطٍ من ضياء ، وهذا يعني أنَّ الليل يخلو من أيِّ خيطٍ من ضياء ، وهذا يؤكِّد أنَّ فترتي اختلاط الظلام مع الضياء (طرفي النهار) لا يتبعان لليل ..

.. ونهاية الآية الكريمة : ﴿ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴾ : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا

﴿ تَسۡمَعُونَ ﴾ ، تُشير – كلمسة بلاغيّة تُحاكي الموقف المحمول بالنص – إلى ما نذهب إليه .. ففي حالة : ﴿ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا ﴾ ، لا تكون هناك رؤية ، حيث لا وجود لخيطٍ من ضياء ، والتواصل يكون بالسمع : ﴿ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴾ ..

.. وبالمقابل .. يقول تعالى : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ ﴾ .. الله تعالى يقول : ﴿ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ ﴾ : ﴿ بِلَيۡلٖ ﴾ .. المولى جلَّ وعلا لم يقل ((**مَنْ إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بظلام**)) .. لماذا ؟ .. لأنَّ فترتي إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل (وهما طرفا النهار حيث اختلاط خيوط الظلام بالضياء) ، ليستا جزءاً من الليل ، وفيهما تتداخل خيوط الظلام مع خيوط الضياء ، يعني فيهما ظلام .. لذلك .. لا ينتهي النهار وطرفاه إلاَّ بحلول الليل ، حيث الظلام الكامل الذي لا وجود فيه لخيطٍ من ضياء .. وهذا ما تنطق به العبارة الكريمة : ﴿ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ ﴾ ..

.. النهار هو ضياء كامل ، لا يُوجد فيه ظلام ، والليل هو ظلام كامل لا يُوجد فيه ضياء ، والتداخل بين خيوط الضياء والظلام يكون في طرفي النهار .. وطرفا النهار ، حيث الله تعالى هو من يُسمّيهما بذلك : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ، ويعطف عليهما : ﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [هود : 114] لا يمكن أن يكونا تابعين لليل وجزءاً منه .. من المستحيل أن يسمّي الله تعالى جزءاً من الليل بالعبارة : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ .. ولا يتوهَّم ذلك إلاَّ فاقدٌ للبصيرة ..... ليس لليل أطراف ، لأنَّ الطرف المعني ليس لحظة من الزمن ، والليل لا يحتمل تدرّجاً أو وجودَ خيطٍ من ضياء .. بينما طرفا النهار ، يُوجد فيهما التدرّج والاختلاط ما بين خيوط الظلام والضياء ..

.. العبارة : ﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ تعني : وجوانب من الليل ، ومنازل من الليل ، وبالتالي ، تدخل ضمنها أيُّ فترة من فترات الليل ، من بدايته إلى نهايته .. فكيف – إذاً – يكون : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ جزءاً من الليل ويُعطَف عليهما مباشرة العبارة : ﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ .. كيف ؟!!! .. إن كان ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ جزءاً من الليل ، فهما – حسب هذا الزعم – داخلان في دلالات العبارة ﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ..

من هنا نرى أنَّ الليل يكون حيث لا وجود لخيطٍ من ضياء ، والنهار (مع طرفيه) يكون بوجود خيطٍ من ضياء ، حيث النهار لا وجود فيه لخيطٍ من ظلام ، وفي طرفيه اختلاط ما بين خيوط الضياء والظلام .. هذا ما يُدركه كلُّ من يُدرك الحدَّ الأدنى من دلالات آيات كتاب الله تعالى ، التي يؤكِّد الكثير منها هذه الحقيقة ..

الجذر (ل ، ي ، ل) ، يعني الظلام الخالي من الضياء ، فهذه الكلمة : ﴿ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ تصف الظلام الناتج عن غياب ضوء الشمس (سواء كان مباشراً ، أو مِن وراء الأفق) عن الأرض ، في ليلنا الأرضي .. وتصف – أيضاً – الظلام في الفضاء الكوني ما بين الكواكب ، فالفضاء الفاصل ما بين الكواكب ، لونه هو ذات لون الليل الأرضي ..

.. الأرض والكواكب وكلُّ الأجرام السماويّة ، تسبح في فضاء أسود اللون ، وفي هذا الفضاء ، لا نستطيع أن نرى من الأجسام السابحة فيه سوى الجانب الذي يعكس الضوء من سطحها باتّجاهنا ، فمكوِّنات هذا الفضاء تتحلَّل على أيِّ جسمٍ سابحٍ فيه إلى العنصرين الأساسيّين المكوِّنين له :

- .. عنصر مضيء ، ويكون على جانب الجسم المواجه للشمس ..
- .. عنصر مظلم ، ويكون على الجانب الآخر لهذا الجسم ..

.. فإذا وقع هذا الجسم السابح في الفضاء الكوني على خطٍّ مستقيم بيننا وبين الشمس ، عند ذلك لا نرى منه شيئاً ، كون الجانب المضيء (كاملاً) يكون في الاتّجاه الآخر ، وهذا – على سبيل المثال – هو حال القمر في حالة المحاق ..

.. إذاً .. الفضاء الكوني (الليل الكوني) ونرمز إليه بالرمز (ل) ، يتكـــوَّن مـــن عنصرين ملتحمين هما : الضياء (الذي هو النهار على كوبنا الأرضي) ، ونرمز له بالرمز (ن) ، والظلام (الذي هو ليلنا الأرضي هنا على الأرض) ، ونرمز له بالرمز (ظ) :

$$ل = ن + ظ$$

هذه المعادلة الكونيّة ، نراها جليّة في قولِه تعالى :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ [يس : 37]

.. الآية تقول : وآية لهم ﴿ ٱلَّيۡلُ ﴾ (الفضاء الكوني ، الليل الكوني) ، نترع منـــه ﴿ نَسۡلَخُ ﴾ الضياء (النهار على كوكبنا الأرضي) ﴿ ٱلنَّهَارَ ﴾ ، فتكون النتيجة : ﴿ فَإِذَا هُم ﴾ أنَّهم داخلون في حالة الظلام ، الذي هو الليل الأرضـــي ﴿ مُّظۡلِمُونَ ﴾ .. أي :

ل – ن = ظ ، وهي ذاتها المعادلة : ل = ن + ظ .. فالليل الأرضي ﴿ مُّظۡلِمُونَ ﴾ ، هو نتيجة لعمليّة السلخ ، تماماً كما أنَّ ﴿ ٱلنَّهَارَ ﴾ هو نتيجة لهذه العمليّة .. وكلُّ ذلك يعود إلى كون الليل الكوني شاملاً لعنصري الضياء والظلام : ل = ن + ظ ..

.. وهذا المفهوم ، نراه جليّاً في قوله تعالى :

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ [الشمس : 1 – 4]

.. قرص الشمس الذي نراه في النهار ، لا يظهر لنا بهذه الحيثيّة ، إلاَّ داخل الغلاف الجوي ، وفي وقت النهار .. وهذا ما تحمله الآية الكريمة : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ ..

.. وخارج الغلاف الجوّي حيث الرؤية مُظلمة ، دائماً ، كما بيّنّا ، لا تظهر الشمس بهذه الحيثيّة التي نراها بها ، لأنَّه لا وجود لغلاف جوّي يُظهرها بالحيثيّة التي نراها بها ، هنا من على الأرض .. فالليل الكوني يغشاها : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ ..

ما نراه في هاتين الآيتين الكريمتين : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ ، أنَّ النهار هو الذي يُجلِّي الشمس ، بمعنى : هو الذي يُظهرها لنا بهذه الحيثيّة التي نراها بها من على الأرض ، فالضمير المتّصل (ها) في كلمة ﴿ جَلَّىٰهَا ﴾ في محل نصب مفعول به يعود على الشمس ، والفاعل يعود على النهار ؟ .. وما نعلمه أنَّ النهار – بالنسبة لنا – هو نتيجة لوقوعنا في وجه الأرض المقابل للشمس ، والليل هو نتيجة لوقوعنا في الوجه الآخر .. فالشمس ليست نتيجة للنهار ، والليل هو نتيجة لغياب ضوء الشمس (سواء بشكل مباشر أو من وراء الأفق) ، لا العكس .. وهذا يؤكِّد صحّة ما نذهب إليه في تفسيرنا لهذه الآيات الكريمة .... فالنهار يُجلِّي الشمس ، بمعنى : في النهار في إطار الغلاف الجوّي ، تظهر الشمس بهذه الحيثيّة الجليّة التي نراها بها .. وخارج الغلاف الجوي حيث الليل الكوني ، لا تظهر بهذه الحيثيّة ، كون الليل الكوني يغشاها ..

.. وبالوقوف على دلالات الجذر (غ ، ش ، ي) في كتاب الله تعالى ، وعلى كون الغشاوة عندما تتعلَّق بالليل ، تأتي بصيغة المضارع ، وعندما تتعلق التجلية – المقابلة لها – بالنهار ، تأتي بصيغة الماضي .. بالوقوف على ذلك .. تتأكَّد معنا صحة ما نذهب إليه ..

.. في كتاب الله تعالى ، الغشاوة هي الغطاء : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ [البقرة : 7] ، فالغشاء على الشيء لا ينفي وجوده ، إنّما يعني عدم رؤيته بسبب الغطاء الذي وُضع عليه : ﴿ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم : 50] .. وإغشاء الإنسان جعله لا يُبصر : ﴿ فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [يس : 9] .. فالغشاء لا يُزيل الشيء من وجوده ، وإنّما يحجبه ، فلا يظهر بالحيثيّة التي هو فيها ..

.. وهذا المعنى لمشتقّات الجذر (غ ، ش ، ي) ، يتّصف به الليل ، حيث الليل هو غطاء يحجب الرؤية عن الموجودات .. ولمّا كانت كلمة الليل ، تشمل – فيما تشمل – الليل الكوني – حسب بعض السياقات القرآنيّة – فإنّه في الليل الكوني هناك حيثيّة مستمرّة من التغطية ، نتيجة الاختلاط – كتفاعل مستمرٍّ – ما بين الظلام والضياء المستتر فيه ، كما رأينا ، فالظلام يُغطّي الضياء بشكلٍ مستمرٍّ .. وبالتالي .. نرى ورود صيغة الفعل المضارع : ﴿ يَغۡشَىٰ ﴾ : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ [الليل : 1] ..

.. وما نراه أنّ الفعل : ﴿ يَغۡشَىٰ ﴾ لم يتعلّق به مفعول به ، ليشمل كلّ جسمٍ فيه ، وباستمرار ، مادام هناك ليل ، وهذا يكون في الليل الكوني ، وأيضاً في الليل الأرضي .. فحيثيّة تغطية الأجسام عن إبصارها في الليل ، هي حيثيّة مستمرّة ، وهذا ممّا يُؤكّد أنّ الليل لا يحتمل خيطاً من ضياء ، وممّا يُؤكّد أنّه لا يشمل طرفي النهار ، حيث – في طرفي النهار – لا تتحقّق دلالات الفعل : ﴿ يَغۡشَىٰ ﴾ ، وذلك بسبب وجود خيوط الضياء ..

.. بينما النهار (شأنه شأن الليل الأرضي) هو نتيجة لسلخه من الليل الكوني ، ولا يكون (هو والليل الأرضي) إلاّ باكتمال عمليّة السلخ كنتيجة لهذا السلخ .. لذلك .. نرى ورود صيغة الفعل الماضي : ﴿ تَجَلَّىٰ ﴾ : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [الليل : 2] ، كون النهار تجلّى فظهر هو بذاته كضياء ، عبارة عن كوّة على شكل قشرة – رقيقة نسبيّاً –

من سطح نصف كرة في الفضاء الكوني ، تحيط بوجه الأرض المقابل للشمس .. إذاً .. كون النهار نتيجة لعمليّة السلخ من الليل الكوني ، الذي فيه تفاعل مستمرٌ ما بين عنصريه اللذين يتكوَّن منهما ، كما رأينا ، فإنَّ الليل تتعلّق فيه صيغة المضارع ، والنهار تتعلّق فيه صيغة الماضي : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [الليل : 1 – 2] ..

وما نراه أنَّ الآية المتعلّقة بالليل ، ترد قبل الآية المتعلّقة بالنهار ، كون الليل هو الأصل الذي منه يتمُّ سلخ النهار ..

.. ولا يمكن اعتبار طرفي النهار جزءاً من جسد الليل ، بحجّة أنَّه فيهما لا يُوجد ضياءٌ كامل (كالنهار) ، وأنَّه فيهما المرحلة الانتقاليّة ما بين الليل والنهار .. فكما بيّنا .. لا تتحقَّق في طرفي النهار حيثيّات الدلالات المحمولة بكلمة : ﴿ يَغۡشَىٰ ﴾ : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ [الليل : 1] ، وذلك بسبب وجود الضياء فيهما ، فكلمة : ﴿ يَغۡشَىٰ ﴾ شاملة لكلِّ جسدٍ في الليل ، وفي طرفي النهار نرى الأشياء ، خصوصاً في القسم القريب من النهار .. ومن جهةٍ أُخرى ، سلخ النهار (كونه خالياً من الظلام) هو من الليل الكوني ، وليس من الليل الأرضي ، فالليل الأرضي لا يُوجدُ فيه ضياء أصلاً لنسلخه منه ، الليل الأرضي هو – أيضاً – نتيجة (كالنهار) لعمليّة السلخ من الليل الكوني ..

.. فالليل الذي يتمُّ منه السلخ ، يحتوي على ضياء النهار كاملاً وعلى ظلمة الليل الأرضي ، وهذا لا يكون إلاَّ في الليل الكوني ، فهذا الليل الكوني منه خرجت كلُّ العناصر : (النهار ، طرفا النهار ، الليل الأرضي) .. لذلك .. من قمّة الجهل أن يتخيَّل تائهٌ بأنَّ طرفي النهار يتبعان لليل الأرضي ، وذلك انطلاقاً من كونهما ليسا ضياء كاملاً ، كالنهار ، فهذا الوهم تيهٌ ناتجٌ عن جعل الليل الأرضي شاملاً لعنصر الضياء الكامل إضافة لعنصر الظلام ، وإعراضٌ عن كون الليل الأرض (كالنهار) هو نتيجة لعمليّة السلخ .. فقد رأينا في قوله تعالى : ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ ، أنَّ

كلاً من النهار ﴿ ٱلنَّهَارَ ﴾ والليل الأرضي ﴿ مُّظۡلِمُونَ ﴾ ، عبارة عن نتيجة لهذا السلخ .. وضمُّ طرفي النهار لليل الأرضي ، هو وهمٌ بأنَّ الليل الأرضي يشمل النهار كاملاً كعنصر فيه الضياء الكامل ، وهذا هو قمّة الجهل بنصوص كتاب الله تعالى ، وبالحقائق الفلكيّة .. هذا فضلاً عن كون هذا الوهم تيهاً ناتجاً عن جعل الليل فيه إبصار ، وتيهاً ناتجاً عن الإعراض عن دلالات الكثير من آيات كتاب الله تعالى ، التي تؤكّد أنَّ الليل يكون حيث لا وجود لخيطٍ من ضياء ، كما رأينا ، وسنرى – في هذا البحث – إن شاء الله تعالى ..

وجوهر ما رأيناه في هذا النصِّ الكريم : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ ، نراه أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ [الشمس : 1 – 4] .. فالنهار الذي تجلَّى هو بكينونته ، كنتيجة لاكتمال سلخه من الليل الكوني ، وحيث فيه خيوط الضياء ظاهرة ، وليست مستترة كما هو الحال في الليل الكوني .. هذا النهار .. أظهر لنا الشمس ضمن الغلاف الجوي ، بحيثيّتها التي نراها بها .. ولذلك نرى ورود كلمة ﴿ جَلَّىٰهَا ﴾ بصيغة الفعل الماضي : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ ..

بينما في الليل الكوني ، حيث الضياء مُستتر بالظلام – كما رأينا – وبتفاعل مستمرٍّ ، يُغطِّي فيه الظلامُ الضياءَ ، فإنَّ هذا الليل الكوني – بتفاعله المستمر هذا ما بين عنصريه المكوّنين له – يُغطّي حيثيّة الشمس التي نراها بها في النهار .. لذلك .. نرى ورود كلمة : ﴿ يَغۡشَىٰهَا ﴾ بصيغة الفعل المضارع : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ ... ونرى – هنا – تقديم الآية الكريمة المتعلّقة بالنهار على الآية الكريمة المتعلّقة بالليل : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ ﴾

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ ، كون السياق يتعلَّق بالشمس ، التي هي مصدر الضياء الذي بسببه كان النهار ..

وممّا يُؤكِّد صحَّة ما نذهب إليه في تفسيرنا للآية الكريمة : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ ، أنَّ الفاعل في كلمة : ﴿ يَغۡشَىٰهَا ﴾ هو الليل .. بمعنى : الليل كفاعل ، موجود قبل تغطية الشمس كمفعول به ، وهو السبب بذلك .. وهذا لا يتحقَّق إلاَّ في الليل الكوني ، الذي هو يغشى الشمس فلا تظهر لنا بالحيثيّة التي تظهر بها هنا من على الأرض .. أمّا القول بأنَّ الآية الكريمة تعني أنَّ الليل الأرضي يُغطّي الشمس فتغيب عن نظرنا ، فهذا يقتضي أنَّ غياب الشمس هو نتيجة لحلول الليل ، وهذا لا يقول به من عنده حدٌّ أدنى من إدراك الحقائق الفلكيّة .. الليل الأرضي يبدأ بعد غياب الشمس ، وبعد انقضاء الطرف الثاني للنهار ، فكيف للفاعل أن يتأخّر بوجوده عن وجود المفعول به ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

والأمر ذاته بالنسبة للنهار الذي جلّى لنا الشمس بهذه الحيثيّة التي نراها بها : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ .. فالفاعل في كلمة : ﴿ جَلَّىٰهَا ﴾ هو النهار ، والمفعول به هو الشمس .. فلولا الغلاف الجوي ، لما كنّا سنرى الشمس كما نراها في النهار .. والشمس تظهر لنا بهذه الحيثيّة بعد انقضاء الطرف الأوَّل من النهار ، وتختفي عن أنظارنا من بداية الطرف الثاني للنهار .. بمعنى : النهار بطرفيه ، موجود قبل ظهورها لنا بهذه الحيثيّة ، وبعد ظهورها لنا ، فالنهار هو الفاعل في هذه العمليّة ، والشمس هي المفعول به .. وهذا ممّا يُؤكِّد صحّة ما نذهب إليه في تفسيرنا لهذه الآيات الكريمة ..

من هنا نرى أنَّه في كتاب الله تعالى ، عند عطف الليل والنهار على بعضهما ، يكون الليل في المقدِّمة ، ليُعطَف النهار عليه ، فالليل يشمل – إضافة لليل الأرضي – الليلَ الكوني ، والليلُ الكوني هو الأساس الذي منه يتمُّ سلخ النهار ، لينتج الليل الأرضي ..

كما رأينا .. فالقاسم المشترك بين الليل الأرضي هنا على سطح الأرض ، والليل الكوني حيث الفضاء الذي تسبح فيه الأجرام السماوية ، هو الظلمة ..

.. وحتَّى لو نظرنا إلى الآية الكريمة : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ [يس : 37] ، على أنَّ الليل المعني فيها هو ليلنا الأرضي ، فإنَّ الآية الكريمة تقول : وآيةٌ لهم الليل ، كوننا نسلخ منه النهار [كسلخٍ مستمرٍّ على مدار (24) ساعة كظاهرة كونيّة ليست خاصّة بمكان محدَّد ، كون الصيغة ﴿ نَسۡلَخُ ﴾ صيغة مضارع] ، فإذا هم في حالة الظلام (الليل الأرضي) ، بمعنى : آيةُ الليل لهم ، أنّنا نسلخ [كسلخٍ مستمرٍّ على مدار (24) ساعة كظاهرة كونيّة ليست خاصّة بمكان محدَّد ، كون الصيغة ﴿ نَسۡلَخُ ﴾ صيغة مضارع] منه خيوط الضياء كاملةً ، فيكونون في حالة ظلام .. فالآية الكريمة – من هذا المنظار – تبيّن لنا أنَّ الليل يخلو من ضوء النهار ، كون ضوء النهار – كاملاً – مسلوخاً منه .. وهذا هو ما استنبطناه من قوله تعالى : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [القصص: 71 – 72]

.. والاستشهاد بقوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ [يس : 37] ، على أنَّه يعني : وآيةٌ لهم الليل الذي يبدأ مع الغروب (بداية الطرف الثاني للنهار) ، حيث نبدأ بسلخ النهار منه ابتداء من الغروب ، فإذا هم مظلمون بعد انتهاء هذا السلخ .. هذا الاستشهاد – بهذا الفهم المغلوط للآية الكريمة – ليس صحيحاً على الإطلاق .. على الإطلاق .. وذلك لأسباب عديدة ، منها :

.. هذا الفهم المغلوط ، يتنافى مع مجمل آيات كتاب الله تعالى ، الحاملة لكلمة ﴿ ٱلَّيۡلُ ﴾ ، وكنّا قد وقفنا عند بعضها ، وسنقف – إن شاء الله تعالى – في هذا البحث عند بعضها الآخر ، فهذا الفهم المغلوط ينقضه كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ، وهو نتيجةُ وضْعِ تصوّرٍ مسبقِ الصنع ، لا أساس له إلاّ في مخيّلة الواهم ، إعراضاً عن الأدلّة الدامغة التي تحملها مجمل نصوص كتاب الله تعالى ..

.. هذا الفهم المغلوط ، يقلب العبارة القرآنيّة : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ليجعلها بمعنى ((**طرفي الليل**)) : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [هود : 114] ويجعل من عطف العبارة ﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ عليها تكراراً .. وهذا مستحيل .. فطرفا الشيء هما نهايتاه المتناظرتان بالنسبة لمركزه ، والمنتميان إليه ، واللذان من خلالهما يتمُّ التواصل مع ما هو خارج جسم الشيء ، فكما أنَّ الطرف الأوَّل للنهار يحمل تداخل خيوط الظلام مع خيوط الضياء ، وهو جزءٌ من النهار ، كذلك الأمر في الطرف الثاني للنهار .. ومن جهةٍ أُخرى .. إن كان الطرف الثاني للنهار جزءاً من الليل ، فهو مشمولٌ بالليل ، أي هو مشمولٌ بالعبارة ﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ، فكيف – إذاً – تُعطَف العبارة : ﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ على العبارة ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ..

.. هذا الفهم المغلوط ، يحمل فرضاً مفاده أنَّ الليل الأرضي يشمل كلَّ درجات الضياء ، ابتداء من الضياء الكامل قبل الغروب وانتهاء بآخر خيط ضياء عندما يحلُّ الظلام الكامل بعد نهاية الطرف الثاني من النهار .. ولو سلّمنا لهذا الوهم الذي لا أساس له إلاّ في أهواء متخيّليه ، فهذا يعني أنَّ الطرف الأوَّل من النهار (من أول خيط ضياء للفجر حتّى طلوع الشمس) هو أيضاً جزءٌ من الليل ، فحسب – هذه الأهواء التائهة – فإنَّ

فترتي تداخل خيوط الظلام بخيوط الضياء ، تنتميان لليل وليس للنهار .. لكن .. ما نراه في كتابِ الله تعالى أنَّ فترة الإيلاج الأولى (الطرف الأوَّل للنهار) ليست من الليل ، بنصوص كتاب الله تعالى ، يعني : حيث يُوجَد ضياء لا يُوجَد ليل .. فكيف إذاً يقول الله تعالى لنا : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ، ويعترض عليه الواهمون قائلين : الطرف الأوَّل للنهار نعم سنعترف به جزءاً من النهار ، بينما الطرف الثاني من النهار : لا لن نعترف به جزءاً من النهار ، نريده جزءاً من الليل ، حتّى تستقيم أهواؤنا وما يُمليه علينا خيالنا ؟!!! ..

◉ .. هذا الفهم المغلوط ، ناتجٌ عن عدم إدراك معنى دلالات الطرف في العبارة : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ، فطرفا الشيء هما نهايتاه المتناظرتان بالنسبة لمركزه ، وينتميان إليه ، ومن خلالهما يتفاعل هذا الشيء مع ما هو خارج جسمه ، وهذان الطرفان لهما امتداد داخل جسم هذا الشيء ، لهما امتداد يحجز حيّزاً من الشيء الذي هما طرفاه .. ولذلك .. كون الليل – كما رأينا – لا يحتمل خيطاً من ضياء ، وينتهي مع أوَّل خيط من ضياء الفجر بنصِّ كتاب الله تعالى ، بنصِّ كتاب الله تعالى ، فهذا يعني أنَّ لا يُوجَد له أطراف ، فكما أنَّه ينتهي فجأة من أوَّل خيط من ضياء الفجر ، حيث بداية الطرف الأوَّل للنهار ، فإنَّه يبدأ فجأة مع خروج آخر خيط ضياء مع نهاية الطرف الثاني للنهار ... ليس لليل أطراف ، يعني ليس له امتداد يتمُّ فيه إيلاج ما بين خيوط الضياء وخيوط الظلام .. من هنا نرى أنَّ كتاب الله تعالى لم يصف لليل أطرافاً .. والواهمون يريدون أن يجعلوا لليل أطرافاً ، الله تعالى يقول لهم : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ، ويقولون له جلَّ وعلا : لا ، نعترف فقط بالطرف الأوَّل للنهار ، أمّا الطرف الثاني للنهار فلا نعترف به ، وأهواؤنا تفرض علينا أن نجعله جزءاً من الليل !!!!!! ..

◉ .. هذا الفهم المغلوط ، ينقضه قوله تعالى :

﴿ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً ﴾ [الإسراء : 12]

﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [النمل : 86]

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [غافر : 61]

.. الله تعالى يقول : [﴿ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ،، ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾] ، يعني حيثما يُوجَد إبصارٌ فنحن في النهار ، لأنَّه حيثما يُوجَد خيطٌ من ضياء فهناك إمكانيّة للإبصار ، يعني نحن لسنا في الليل ، وهذا ما تُؤكِّده نصوصٌ ليست بالقليلة ، منها أنَّ ليلة الصيام تنتهي مع أوَّل خيط ضياء ، حيث البداية لمرحلة الإبصار .. وعند الغروب ولمسافة زمنيّة ليست قليلة نسبيّاً هناك إبصار جيّد ، فمن الممكن أن يقود الإنسان سيارته لمسافة ليست قليلة دون الحاجة لتشغيل الإضاءة ، فكيف إذاً يكون الطرف الثاني للنهار ليس جزءاً من النهار المُبصر الذي جعل الله تعالى آيته مُبصرة ؟!!!!!!! .. كيف ؟!!!!!!! ..

◉ .. هذا الفهم المغلوط ، يتجاهل كون الآية الكريمة – قيد البحث – تقع ضمن نصٍّ قُرآني يُبيِّن آيات الله تعالى الكونيّة ، كمعجزات يطلب من البشر النظر فيها :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا ..... وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ..... وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ..... ﴾ [يس : 33 – 41]

.. فالسياق المحيط – كما نرى – لا يتحدَّث عن أحكام تتعلَّق بأوقات ، ولا عن خصوصيّات شرعيّة ، إنّما يتحدَّث عن حقائق كونيّة ، يعرضها كمعجزات ، يُطلَب من البشر التفكّر فيها ، فقد وردت العبارة : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾ في سياق النصِّ الكريم ثلاث مرّات ، متعلِّقة بالأرض ، وبالليل ، وبحمل ذريّة المخاطبين في الفلك المشحون .. ودلالات الآية الكريمة قيد البحث : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ هي في هذا الإطار .. من هنا نرى الحكمة من ورود كلمة ﴿ نَسْلَخُ ﴾

بصيغة الفعل المضارع ، فالليل كحقيقة كونيّة يعرضها الله تعالى للبشر : ﴿ لَّهُمُ ﴾ ، بعيداً عن خصوصيّات الأماكن المختلفة (حيث لكلِّ مكانٍ زمنه الخاص به) هو في حالة سلخٍ مستمرٍّ ، وله وجودٌ مستمرٌّ ، ففي كلِّ لحظة هناك ليل .. وفي كلِّ لحظة هناك نهار .. وفي كلِّ لحظة هناك فجر .. وهناك طلوع للشمس .. وهنا غروب .. وهناك فجر .. وهناك شفق .. وهناك ضحى ..... فعمليّة سلخ النهار من الليل هي عمليّة مستمرّة دائماً ، هذا ما تؤكِّده الحقائق الفلكيّة ، وقبل ذلك ، هذا ما تحمله كلمة : ﴿ نَسۡلَخُ ﴾ بصيغة الفعل المضارع ..

ولو وردت الآية الكريمة : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ بالصيغة : ((**وآيةٌ لهم الليل سلخنا منه النهار فإذا هم مُظلمون**)) ، لكان هناك ليل واحد ، تمّت له عمليّة سلخ واحدة ، وانتهت ، كما هو الحال في الآية الكريمة بذات السياق : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ [يس : 41] ، حيث كلمة ﴿ حَمَلۡنَا ﴾ بصيغة الفعل الماضي ، فحمل الذريّة في الفلك المشحون تمَّ مرّة واحدة ، وانتهى الأمر ، وليس أمراً مستمرّاً ، كما هو حال سلخ النهار من الليل ..

.. من هنا نرى عمق الحكمة في ورود كلمة : ﴿ نَسۡلَخُ ﴾ بصيغة الفعل المضارع دون صيغة الفعل الماضي : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ كون عمليّة السلخ مستمرّة في كلِّ لحظة ، وذلك كآية كونيّة تحدث باستمرار دون انقطاع ، يعرضها الله تعالى للبشر ، ليتفكَّروا فيها ..

.. ما نراه – واضحاً جليّاً – في كتاب الله تعالى ، أنَّ فترة الانتقال من الليل الأرضي إلى النهار (ما بين الفجر وطلوع الشمس) ، وفترة الانتقال من النهار إلى الليل الأرضي (ما بين غروب الشمس ودخول الليل) ، وهما الفترتان اللتان تتمُّ فيهما عمليّة الإيلاج

(التداخل) ما بين الليل والنهار ، هما فترتان لا تتبعان لليل ، فلم يذكر لنا كتاب الله تعالى وجود طرفين لليل .. أبداً .. هما طرفان أُضيفا – في كتاب الله تعالى – للنهار ، وليس لليل ، فقد سمّاهما الله تعالى : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ، حيث كلُّ طرفٍ منهما تُؤدَّى فيه فريضة من فرائض الصلاة ، وعطف عليهما : ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ..

.. لا شكَّ أنَّ الطرف الأوَّل من النهار ، هو الفترة التي تُؤدّى فيها صلاة الفجر ، وتبدأ بالفجر (حيث أوّل خيط للضياء) وتنتهي مع طلوع قرص الشمس (حيث لا وجود لخيطٍ من الظلام) .. فما نراه أنَّ هذه الفترة (الطرف الأوَّل للنهار) :

- .. تقع بين حدّين ، بين حدٍّ أوَّل هو الليل حيث لا وجود لخيطٍ من ضياء ، وبين حدٍّ ثانٍ هو وجود قرص الشمس على مستوى الأفق ، حيث لا وجود لخيطٍ من ظلام ..

- .. من بداية الطرف الأوَّل من النهار ، حيث أوَّل خيط ضياء من الفجر ، يبدأ انسلاخ خيوط الظلام ، الذي يكون كاملاً قبل البداية ، لتتلاشى خيوط الظلام عند نهاية هذا الطرف مع وجود قرص الشمس على مستوى الأفق .. بمعنى : هي الفترة الانتقاليّة من الليل حيث لا وجود لخيطٍ من ضياء ، إلى النهار حيث لا وجود لخيطٍ من ظلام ..

- .. خلال فترة الطرف الأوَّل من النهار ، لا نرى قرص الشمس في السماء ، إنّما يصلنا ضياء الشمس من وراء الأفق ..

- .. في فترة الطرف الأوَّل من النهار ، تؤدّى فريضة صلاة الفجر ..

.. الطرف الثاني من النهار ، يناظر طرفه الأوَّل ، بالنسبة لمنتصف النهار ، وإلاَّ لما كانا طرفين للنهار .. ولو نظرنا إلى الطرف الثاني من النهار لرأينا :

.. يقع بين حدَّين ، الحدُّ الأوَّل ، هو هو وجود قرص الشمس على مستوى الأفق ، وهذا يقابل الحدَّ الثاني من الطرف الأوَّل من النهار ، حيث – أيضاً – يكون قرص الشمس على مستوى الأفق ..

.. والحدُّ الثاني من الطرف الثاني للنهار ، هو الليل كظلام لا يوجد فيه خيطٌ من ضياء ، وهذا يقابل الحدَّ الأوَّل من الطرف الأوَّل للنهار ..

.. من بداية الطرف الثاني من النهار ، يبدأ دخول الظلام واختلاطه بخيوط الضياء ، حيث يكون الضياء كاملاً في بدايته ، ليتلاشى الضياء في نهايته ، حيث يبدأ الليل .. وهذا يقابل تماماً الطرف الأوَّل من النهار ، حيث في الطرف الأوَّل من النهار تنسلخ خيوط الظلام تدريجيّاً لتتلاشى في نهايته ..

.. خلال فترة الطرف الثاني من النهار ، لا نرى قرص الشمس في السماء ، إنّما يصلنا ضياؤها من وراء الأفق ، وهذا الأمر هو ذاته ما يكون في الطرف الأوَّل من النهار ، حيث ضياء الشمس يصلنا من وراء الأفق ..

.. في فترة الطرف الثاني من النهار ، تؤدّى فريضة صلاة المغرب ..

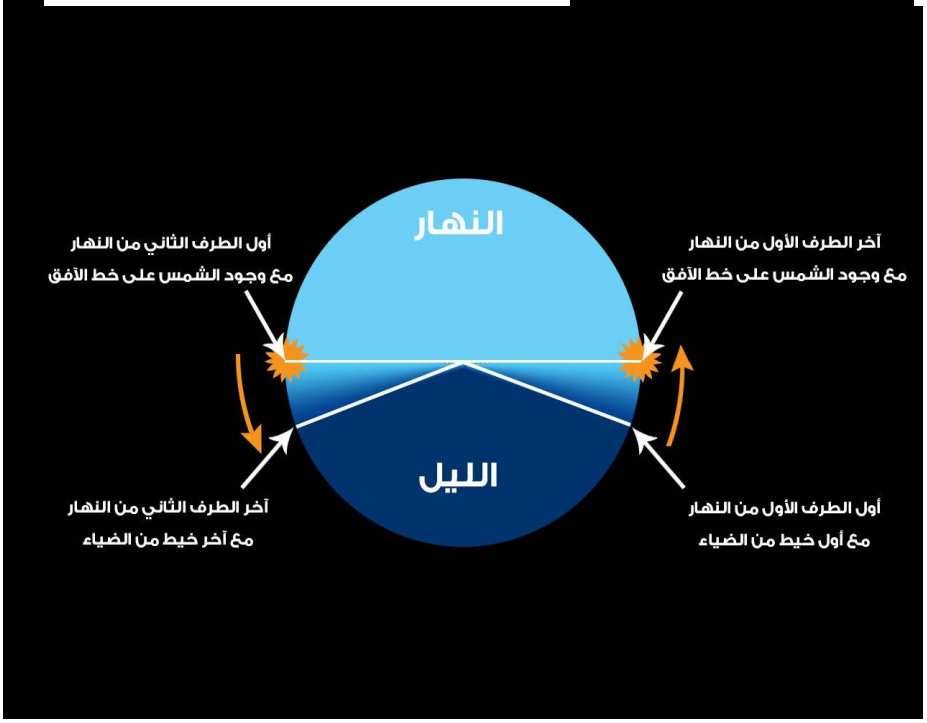

ومن المستحيل أن يكون الطرف الثاني من النهار ، من العصر إلى غروب الشمس ، كما ذهب بعضُ المفسِّرين .. وذلك لأسباب عديدة ..

۞ .. في هذه الحالة المفترضة ، لا تناظر أبداً – كواقع فلكي – مع الطرف الأوَّل .. فقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ، نرى فيه إضافة كلمة ﴿ طَرَفَيِ ﴾ لكلمة ﴿ ٱلنَّهَارِ ﴾ .. بمعنى هناك طرفان معنيان للنهار من جملة أطراف النهار ، حيث للنهار أطراف : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طه : 130] .. هذه الإضافة ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ تعني أنَّهما طرفان مُحدَّدان معلومان فلكيّاً ، بتقابلهما بالنسبة لمركز النهار ، ويتمُّ معرفتهما بناء على هذا التقابل ، وهذا لا يكون إلاَّ كما بيَّنَّا أعلاه ..

من يقول بأنَّ ما يُناظر الفترة من الفجر لطلوع الشمس حيث الطرف الأوَّل للنهار ، هو الفترة من العصر للغروب ، هو كمن يقول : ما يناظر رأسي كطرف أعلى لي هو بطني ، وليس هو قدمي كطرف أسفل لي ، فهل يقول بذلك عاقلٌ باحثٌ عن الحق ؟!!! .. هل هناك من ذرّة شك أنَّ مركز النهار يكون عند بداية دلوك الشمس ، عندما تكون عموديةً على الأرض ، فوق رؤوسنا تماماً ؟ .. هل هناك من ذرّة شك أنَّ طلوع الشمس يُقابل غروبها بالنسبة لهذا المركز ؟ .. هل هناك من ذرّة شك أنَّ طلوع الشمس هو أقرب نقطة من الطرف الأوَّل لمركز النهار ، وأنَّ غروب الشمس هو أقرب نقطة من الطرف الثاني لمركز النهار ؟ .. هل هناك من ذرّة شك أنَّ نهاية الطرف الأوَّل بالنسبة لمركز النهار تُقابل بداية الطرف الثاني بالنسبة لمركز النهار .. هل هذه التقابلات تتحقّق – كما يريد أصحاب الأهواء التائهة – ما بين الطرف الأوَّل للنهار الذي لا خلاف فيه (من الفجر حتّى طلوع الشمس) وبين الفترة من العصر حتّى المغرب ؟!!!!!! .. هل يقول بذلك عاقل ؟!!!!!! .. هذه بديهيات يُدركُها كلُّ من هو ليس عبداً لهواه ، ونقوم بهذا التفصيل – الذي لا حاجة له – لتفنيد أوهام المضلّلين ، حتّى لا يقع الأبرياء ضحيّة لإضلالهم ، فهذه أمور معلومة يُدركها كلُّ نقيٍّ بفطرته النقيّة ..

۞ .. إن كان الطرف الثاني للنهار هو من العصر إلى غروب الشمس ، فهذا يقتضي تضييع صلاة المغرب .. لأنَّه في كتاب الله تعالى ، هناك نصَّان يُحدِّدان أوقات أداء فرائض الصلاة :

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [هود : 114]

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ [الإسراء : 78]

.. فإن كان – كما يزعمون – الطرف الثاني من النهار هو قبل الغروب ، فأين هو النصُّ الكريم الذي يحدِّد لنا وقت صلاة المغرب ؟ ... كتاب الله تعالى تبيانٌ لكلِّ شيء

كما يُؤكِّد مُنزِّله جلَّ وعلا ، وصلاة المغرب من الصلوات المعلومة ، فهل يتَّهمون كتاب الله تعالى بالنقص ، لتمرير أهوائهم الضالّة ؟!!!!!!! ..

۞ .. إن كان الطرف الثاني للنهار ، من العصر إلى غروب الشمس ، فهذا يعني أنَّه داخل في الفترة المحمولة بالعبارة : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ ، فبالإضافة إلى ما يؤدّي إليه زعمهم من تضييع لفريضة المغرب .. إضافة لذلك .. يزعمون تكراراً لا أساس له .. فضلاً عن كون زعمهم هذا يتناقض مع دلالات الكثير من آيات كتاب الله تعالى ..

۞ .. قد يحلو لقائلٍ أن يقول ، لا تُوجَد صلاة في النهار ، وذلك بأن يتخيَّل أنَّ العبارة : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ تصف فترة ما بعد الغروب إلى الليل ، وذلك لتبرير ما يريده هواه .. نقول : العبارة القرآنيّة : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ تبيّن فترة صلاتي الظهر والعصر ، وهما فريضتان تؤدَّيان في النهار ، وفي كتاب الله تعالى ما يُثبت أنَّه هناك صلاة تؤدّى في النهار ، حيث السعي والحركة والعمل والبيع .. يقول جلَّ وعلا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الجمعة : 9]

.. العبارة : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ ﴾ ، نرى فيها ورود كلمة : ﴿ لِلصَّلَوٰةِ ﴾ معرّفة بأل التعريف ، فهي الصلاة ذاتُها التي نؤدِّيها كلَّ يوم ، ولكن ، هنا يُنادى عليها : ﴿ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ ﴾ ، فما يُميِّزها هو أنَّها يُنادى عليها من يوم الجمعة .. هي ذاتُها كوقت لتأديتها ، وكهيآت لفعلِها ، نقوم بها كلَّ يوم ، لكن هنا ، يُنادى

عليها من يوم الجمعة .. ما نراه أنَّ هذه الصلاة المعنيّة هنا ، لا تُؤدَّى إلاَّ في النهار ، وذلك بدليل العبارة التالية لها في ذات السياق مباشرة : ﴿ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾ : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾ .. فالعبارة : ﴿ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾ تعني أنَّ المُخاطَب كان في حالة عمل البيع قبل أن يُنادى لهذه الصلاة ، ويُطلب منه ترك هذا البيع والذهاب إلى هذه الصلاة .. وفي الآية التالية مباشرة ما يُؤكِّد أنَّه بعد انقضاء هذه الصلاة يعود الإنسان إلى عمله ليبتغي من فضل الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة : 10] .. وكلُّ ذلك لا يمكن أن يتحقَّق إلاَّ في الصلاة التي تُؤدَّى في النهار ، وليس في طرفيه ..

وهنا في هذا السياق ، لا بدَّ أن نقف عند تفسير قولِه تعالى : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ .. فما نراه في كتاب الله تعالى ، أنَّ الجذر (د ، ل ، ك) ، له مشتقٌ وحيد هو كلمة : ﴿ لِدُلُوكِ ﴾ الواردة في هذه العبارة القرآنيّة .. ومن استشفاف المعنى من كليّة ما يحمله كتاب الله تعالى ، نرى أنَّ العبارة : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ تعني : لبداية ميل الشمس عن عموديَّتِها على الأرض ، حيث تكون العين في رؤيتها للشمس ، وكأنَّها ممروسة ومعروكة ، وكأنَّ الشمس – في هذه الرؤية – ممروسة ومعروكة تماهياً مع الفضاء المحيط بها .. أي لبداية فترة أداء فريضة الظهر .. والعبارة القرآنيّة : ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ تعني : إلى بداية الكدر ، والعكر ، وعدم الصفاء ، بالنسبة لحالة النهار كصفاء خالٍ من خيوط الظلام ، وهذا يكون حين غروب الشمس ، أي : إلى نهاية فترة أداء فريضة العصر

.. فالعبارة : ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ ، تصوّر لنا فترة أداء فريضتي الظهر والعصر ..

.. كلمة ﴿ غَسَقِ ﴾ هي صيغة مصدر من الجذر (غ ، س ، ق) .. وإضافة لورود هذه الكلمة هنا في النص قيد البحث ، نرى في كتاب الله تعالى ثلاث كلمات أُخرى تتفرَّع من هذا الجذر اللغوي ، منها كلمة ﴿ غَاسِقٍ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق : 3] .. بمعنى : ومن شرِّ فاسدٍ مُظلمٍ في نفسه ، ليس نقيّاً وليس صافياً في ذاته ، من شرِّ عاصٍ ضار بعيد عن الحق ، ومن شرِّ أذيّته ، وذلك حينما يحلُّ فساده وظلمه وضرره وأذاه ..

.. بقي من مشتقّات الجذر (غ ، س ، ق) كلمتان في النصين التاليين :

﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾ [ص : 55 – 57]

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ۝٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴾ [النبأ : 21 – 26]

.. ما نراه أنَّ كلمتي : [[﴿ وَغَسَّاقٞ ﴾ ،، ﴿ وَغَسَّاقًا ﴾]] ، تُعطَفان على كلمتي : [[﴿ حَمِيمٞ ﴾ ،، ﴿ حَمِيمًا ﴾]] ، وذلك في وصف حال أهل جهنّم وشرابها .. وهما بذلك تصفان : نقيض الصفاء ، وعدم إمكانيّة الاطلاع والرؤية لحقيقة الحال والشراب ، وهذا يتعلَّق بالفساد والضرر وعدم النفع ..

﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾

ففي قوله تعالى ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴾ ، نرى أنَّ كلمة : ﴿ حَمِيمًا ﴾ تقابل كلمة : ﴿ بَرۡدًا ﴾ .. وأنَّ كلمة : ﴿ وَغَسَّاقًا ﴾ تقابل كلمة : ﴿ شَرَابًا ﴾ .. ومن المعلوم أنَّ شراب أهل الجنّة يتَّصف بالبياض كصفة للشفافيّة والصفاء ، وبالطهارة كصفة لعدم الرجس وعدم الفساد والضرر ، وبالمزاج العالي ..

﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ۝٤٥ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [الصافات: 45 - 46]

﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان : 5]

﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴾ [الإنسان : 21]

﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : 25 - 28]

.. وبالمقابل يتَّصف شراب أهل جهنّم بنقيض ذلك ..

﴿ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾ [الأنعام : 70]

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ ﴾ [يونس : 4]

﴿ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ [إبراهيم : 16 - 17]

﴿ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾ [الكهف : 29]

﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴾ [الواقعة : 54 - 55]

.. إذاً .. مشتقّات الجذر : (غ ، س ، ق) تعني : العكر والكدر وعدم الصفاء وعدم الرؤية ، وهذا ما يتجلّى في قوله تعالى :

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾

[إبراهيم : 16 - 17]

فذهاب الشفافية والصفاء والنقاء ، وعدم رؤية ذلك ، محمولٌ بدلالات الجذر (غ ، س ، ق) .. من هنا نُدرك دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ بأنّها تعني : إلى بداية دخول خيوط ظلام الليل (عند الغروب) ، نحن نقول بداية دخول ظلام الليل ، و لم نقل بداية دخول الليل ، فالليل يخلو من الضياء كما رأينا ، بينما الفترة التي تبدأ بوجود قرص الشمس على الأفق ، كبداية للطرف الثاني من النهار ، يبدأ فيها العكر والكدر ونهاية الصفاء والشفافية ، نتيجة بداية دخول خيوط الظلام تدريجيّاً وانسحاب خيوط الضياء ، كما بيّنا ..

.. إذاً .. العبارة : ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ ، تعني إلى بداية دخول كدر الليل وعكره ، بحيث يبدأ فقدان الصفاء والنقاء في الرؤية ، فخيوط ظلام الليل تكون قد بدأت تدخل وتحل مكان خيوط الضياء ، حيث نهاية النهار ، وبداية طرفه الثاني ..

.. وهذه العبارة : ﴿ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ لا تعني أبداً أنّه هناك فترة زمنيّة اسمها الغسق ، وأنّها جزءٌ من الليل .. فما نراه هو ورود كلمة ﴿ غَسَقِ ﴾ بصيغة نكرة ، تضاف كتعريف إضافة إلى كلمة ﴿ ٱلَّيۡلِ ﴾ ، وهذا يعني أنّ كلمة ﴿ غَسَقِ ﴾ لا تعني الكدر والعِكر كفترة زمنيّة محدّدة بعينها وإلاّ لما أُضيفت إلى كلمة ﴿ ٱلَّيۡلِ ﴾ لتعريفها .. بمعنى : هناك غسق الشراب كما رأينا .. وهناك غسق الفاسد الضار الذي نستعيذ منه .. وهناك

غسق الليل ، الذي هو الكدر والعكر في الروية نتيجة بداية دخول خيوط ظلام الليل (وليس الليل) ..

.. فإضافة الغسق لليل : ﴿ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ ، يعني عكراً وكدراً يعود في سببه إلى خيوط الظلام ، وذلك بسبب إقبال الليل وبدء خيوط ظلامه بالحلول مكان خيوط الضياء بالنسبة للطرف الثاني من النهار .. وبسبب إدبار الليل وعدم اكتمال انسحاب خيوط ظلامه بالنسبة للطرف الأوَّل من النهار ..

.. ففي النهار (ما عدا طرفيه) تكون الرؤية صافية ، بحيث لا يُعكِّر شفافيَّتَها ، ولا يُكدِّرُ صفاءها ، خيطٌ من الظلام ، وبالتالي لا غسق في جسد النهار .. وفي الليل ، حيث الظلام الدامس ، لا يُوجدُ خيطٌ من الضياء يُعَكِّر سواده ويُكدِّره ، وبالتالي لا غسق في جسد الليل .. فعدم وجود الصفاء والنقاء في الرؤية ، ممّا يُكدِّر صفاء النهار ، حيث النهار آيته مُبصرة ، يكون في طرفي النهار على حدٍّ سواء .. وعدم وجود الليل كونه خالياً ممَّا يُكدِّر عتم ظلمته بأيِّ خيطٍ من الضياء ، حيث الليل آيته مُظلمة لا تحتمل خيطاً من الضياء ، يكون – أيضاً – في طرفي النهار على حدٍّ سواء .. وكلُّ ذلك .. يتعلَّق بكون دلالات المصدر (غسق) تعني – كما رأينا – العكر والكدر ..

.. كيف يكون طرفُ النهار – كما يُسمّيه الخالق جلَّ وعلا – جزءاً من الليل ؟!!! .. كيف ؟!!! .. وكيف تكون العبارة : ﴿ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ تعني فترة زمنيّة محدّدة هي جزءٌ من جسد الليل ، ونحن نعلم أنَّ الليل ظلام دامس لا يُعكِّر ظلمته خيطٌ من ضياء ؟!!! .. فكلمة : ﴿ غَسَقِ ﴾ التي تعني العكر والكدر ، تتنافى مع صفة جسد الليل كظلام دامس لا يُعكِّره خيطٌ من ضياء .. لذلك .. فغسق الليل يكون في طرفي النهار .. كما بيّنا ..

.. وبإمكاننا أن ننظر إلى كلمة : ﴿ ٱلَّيۡلِ ﴾ في العبارة : ﴿ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ ، من منظار الليل الكوني ، فقد وقفنا عند كون كلمة : ﴿ ٱلَّيۡلِ ﴾ تشمل – فيما تشمل –

الليل الكوني ، ورأينا أنَّ الليل الكوني يختفي فيه الضياء ، وأنَّ النهار يتمُّ سلخه من هذا الليل الكوني ، لينتج الليل الأرضي كظلام دامس لا وجود فيه لخيطٍ من ضياء ، ورأينا أنَّه في طرفي النهار تتداخل خيوط الظلام مع خيوط الضياء ، وبالتالي فيهما عكرٌ وكدرٌ يُفسد شفافيّة الضياء الذي يتمُّ سلخه من الليل الكوني ... هذا العكر والكدر ، في طرفي النهار ، ناتجٌ عن خيوط الظلام التي تعود لليل الكوني كأحد مكوّنيه ، حيث الحالة ليست ضياء كاملاً (كما هو ما بين طلوع الشمس وغروبها) ، وليست ليلاً (كون الليل خالياً من الضياء) .. وهذا هو – من هذا المنظار – ما تنطق به العبارة ﴿ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ .. بمعنى : عكر وكدر ناتج عن خيوط الظلام التي هي مكوِّن من مكوّني الليل الكوني ..

.. والمعني بالضياء ، ليس فقط ضوء الشمس القادم إلينا مباشرة من قرص الشمس ، الذي يسقط مباشرة على رؤسنا ، ما بين طلوعها وغروبها .. أبداً .. الضياء هو كلُّ ما يجعلنا نرى به الأشياء .. فسواء ضياء الشمس الآتي مباشرة إلينا من قرص الشمس وسط النهار ، ما بين طلوعها وغروبها ، والساقط على رؤسنا مباشرة ، أم انعكاس ضياء الشمس إلينا من خلال الغلاف الجوي ، عندما تكون الشمس وراء الأفق ، في طرفي النهار ، هذا كلُّه ضياء ، فأصل الضياء هو جَعْل ما حولنا في إطار رؤيتنا .. يقول تعالى :

﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ [البقرة : 17]

العبارة : ﴿ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ﴾ تعني : جعلت ما حوله ضمن إطار رؤيته .. وفي طرفي النهار ، تكون الأشياء حولنا ضمن إطار رؤيتنا ، بنسب مختلفة تتدرَّج حسب نسبة خيوط الضياء والظلام .. لذلك – كما رأينا – لم يكن طرفا النهار جزءاً من الليل .. والضياء في طرفي النهار أصله من الشمس ، لكنَّه منعكسٌ إلينا من الغلاف الجوي ، تماماً كما أنَّ ضياء النهار داخل بيوتنا – وسط النهار – هو ذاته خطوط أشعة الشمس

المنعكسة إلينا من الشوارع والجدران الخارجيّة .. فهل الجالس في بيته وتدخل إليه أشعة الشمس المنعكسة من خارج بيته فيرى الأشياء حوله ، هل هو في الليل ؟!!!!!! ..

.. الشمس جُعلت ضياء : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا ﴾ [يونس : 5] ، كونها جُعلت سِراجاً : ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾ [نوح : 16] .. وضوء الشمس ككاشف للرؤية ، ليس فقط محمولاً بالأشعة الساقطة مباشرةً من قرصها .. أبداً .. هو كلُّ ما يكشف لنا الرؤية ، سواء بشكلٍ مباشر كضوءٍ محمولٍ بالأشعة الساقطة مباشرة من قرصها ، أو بشكل غير مباشر ، ويكون إمّا بانعكاس الضوء إلينا حينما نكون داخل الأبنية مثلاً ، وإما بانعكاس الضوء إلينا – عبر الغلاف الجوّي – حينما تكون الشمس وراء الأفق في طرفي النهار ..

.. نعود فنقول : الموجود في غرفته وسط النهار ، ولا تسقط عليه أشعة الشمس بشكلٍ مُباشَر بسبب سقف بيته والجدران ، إنّما تسقط أشعة الشمس على ما يحيط ببيته من أجساد وتنعكس من هذه الأجساد لتدخل إليه من النوافذ ، ألا يرى ما حوله نتيجة هذا الانعكاس ؟ .. ألا تُضيء له أشعةُ الشمس المنعكسة ما حوله فتكون الأشياء حوله في إطار رؤيته ؟ .. عندما نوقد ناراً خلف جدار يفصلنا عنها ، وينعكس ضوؤها على أجساد تنعكس منها إلينا ، فنرى نتيجة هذا الإنعكاس ما حولنا ، ألا تكون النار بذلك قد أضاءت لنا ما رأيناه ؟ ..

.. الرؤية في الطرف الأوَّل من النهار (ما بين الفجر وطلوع الشمس) تناظر تماماً الرؤية في الطرف الثاني من النهار (ما بين غروب الشمس ودخول الليل حيث لا يُوجد خيطٌ من الضياء) .. فقبل طلوع الشمس بفترة جيّدة تكون الرؤية واضحة ، ويستطيع الإنسان أن يقود سيارته دون أن يشعل النور .. وكذلك الأمر بعد غروب الشمس بفترة جيّدة .. وهذا يعود لكون هاتين الفترتين ليستا من الليل ، إنّما يتمُّ فيهما الإيلاج ما بين

﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾

الليل والنهار ، وكتاب الله تعالى سمّاهما : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ، وعطف عليهما : ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [هود : 114] ، وهذا يعني استحالة كونهما تابعتين لليل ، ففي طرفي النهار يختلط الظلام مع الضياء ، كإيلاج ما بين الليل والنهار ، بينما في الليل لا يُوجدُ خيطٌ من ضياء ، كما رأينا :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص : 71 – 72]

.. والزعم بأنَّ كلمة (ضياء) تعني حصراً الأشعة المباشرة الساقطة من الشمس إلينا دون أيِّ انعكاس لها على أيِّ جسد ، وأنَّ انعكاس أشعة الشمس إلينا (الذي نرى به الأشياء) في طرفي النهار ، ليس ضياءً ، وذلك احتجاجاً بقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس : 5] ، هذا الزعم .. ليس صحيحاً على الإطلاق .. على الإطلاق .. وهو نتيجة جهل بدلالات الكلمات والنصوص القرآنيّة ، وقبل ذلك هو نتيجة لفرض الأهواء المسبقة الصنع على دلالات نصوص كتاب الله تعالى ، لتمرير نتائج مسبقة الصنع .. فالضياء هو كلُّ ما يجعل الأشياء المحيطة بنا ضمن إطار رؤيتنا ، ولا يُشترَط في ذلك سقوط الأشعة – بشكلٍ مباشرٍ من منبعها – علينا ... أصلاً شعاع الضوء المنعكس إلينا عن جسد ما ، هو ذاته القادم من منبعه ، وليس شعاعاً آخر مختلفاً عن الشعاع القادم من المنبع .. وهذا ما نراه جليّاً في قولِه تعالى :

﴿ ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ..... ﴾ [البقرة : 17]

﴿ ..... كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ..... ﴾ [البقرة : 20]

.. إذاً .. في كتاب الله تعالى ، علينا أن نُميِّز بين الأمور التالية :

1 – .. النهار .. وفيه يُرى قرص الشمس من على الأرض ، وتصلنا ضياء الشمس بشكلٍ مباشر ، وتكون الرؤية فيه صافية ..

2 – .. طرفا النهار .. وفيهما تكون الشمس وراء الأفق ، ويصلنا ضياؤها بشكلٍ غير مُباشر من وراء الأفق ، وتتدرّج فيهما الرؤية ، حيث يتمُّ فيهما إيلاج الليل في النهار ، وإيلاج النهار في الليل ..

3 – .. الليل .. وفيه لا وجود لأيِّ خيطٍ من ضياء الشمس ، لا بشكلٍ مباشر كالنهار ، ولا بشكل غير مباشر (من وراء الأُفق) كما هو في طرفي النهار ..

.. وما يجب أن نعلمه ، أنَّه لا تُوجَد لليل أطراف ، لأنَّ الليل ظلامٌ دامس ، لا يحتمل تدرّجاً ما بين الظلام والضياء ، كيف من الممكن لليل أن يحتمل تدرّجاً ما بين الظلام والضياء ، في الوقت الذي ينتهي فيه وجوده بخيط من ضياء ؟ ..... التدرّج ما بين خيوط الظلام والضياء ، حيث الإيلاج ما بين الليل والنهار ، هو في طرفي النهار ، كما رأينا ..

.. وإن قال قائل : طرفا النهار ليسا جزءاً من النهار كضياءٍ كامل .. نقول له : هل من المعقول أنَّ ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ هما جزءٌ من الليل ؟!!! .. من المستحيل أن طرفي النهار – بهذه الصيغة في كتاب الله تعالى – يتبعان لليل ويكونان جزءاً منه .. كيف يمكن لمن يُدرك الحدَّ الأدنى من دلالات لسان كتاب الله تعالى ، أن يتخيَّل – مجرَّد تخيّل – بأنَّ ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ هما جزء من الليل ، وهو يرى ورود هذه العبارة بهذه الصيغة ، ويرى بعينيه كيف تُعطَف العبارة ﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ مباشرة على العبارة ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [هود : 114] ؟!!! ..

.. القول بأنَّ الإفطار يكون مع الغروب ، يقتضي أنَّ طرفي النهار هما جزء من الليل .. وهذا مستحيل .. فكتاب الله تعالى يقول : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [البقرة : 187] ، بمعنى إلى ما بعد انقضاء الطرف الثاني من النهار .. فلو فرضنا جدلاً – أقول جدلاً – أنَّهما ليسا تابعين للنهار ، فلن يتغيّر الأمر بأنَّ الإفطار لا يكون قبل انقضاء الطرف الثاني من النهار ، لأنَّه من المستحيل أن يصف الله تعالى جزأين من الليل بالعبارة : ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ثمَّ يعطف عليهما العبارة : ﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [هود : 114] .. هذا من المستحيل ..

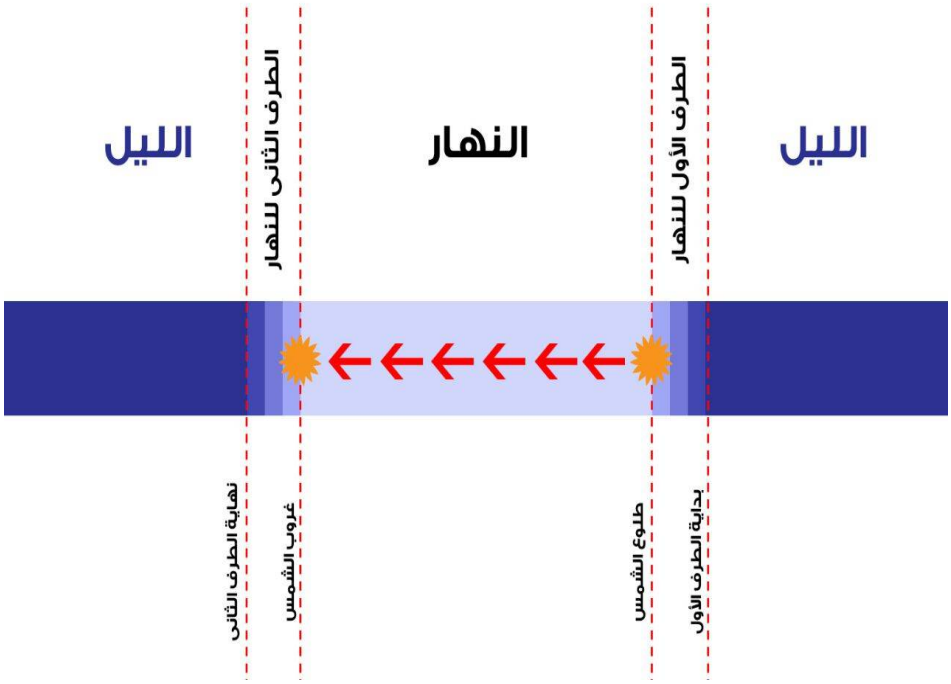

.. ليس من المنطق بشيء أن نسأل السؤال : هل طرفا النهار جزء من النهار ؟ .. السؤال المنطقي – في سياق بحث هذه المسألة – الذي يجب أن نبحث في كتاب الله تعالى عن إجابة له هو : هل طرفا النهار هما جزءٌ من الليل ؟ .. الإجابة ودون أدنى شك هي : لا ، ليسا جزءاً من الليل .. وهذا يقتضي أنَّ الإفطار عند غروب الشمس ليس صحيحاً ، وذلك في معيار قولِه تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [البقرة : 187] ..

ما نراه ، أنَّ قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ [فاطر : 13] ، يُصوِّر لنا إيلاجاً ما بين عنصري الظلام والضياء ، كونَ الليل ظلاماً دامساً خالياً من أيِّ خيطٍ من ضياء ، وكون النهار فيه ضياء ، الإيلاج هو ما بين هذين العنصرين : (الضياء والظلام) .. وهذا الإيلاج يكون – كما بيّنّا – في طرفي النهار ، وهما طرفان تابعان للنهار ، حصراً ، حيث النهار يتحمّل هذا الإيلاج (لأنَّ النهار لا مشكلة لديه بوجود خيوط من الظلام) ، بينما الليل لا يتحمّل هذا الإيلاج (لأنَّ الليل خالٍ من أيِّ خيطٍ من ضياء) .. من هنا .. أضاف الله تعالى (طرفي النهار) للنهار ..

.. الإيلاج هو الإدخال :

﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ﴾ [الأعراف : 40]

﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا ﴾ [سبأ : 2]

.. ويكون الإيلاج ما بين عنصرين ، وهما هنا : الضياء والظلام ، ولا يمكن أن يكون الإيلاج ما بين زمنين ، يعني : لا يمكن لعاقل أن يتخيَّل – مجرَّدَ تخيّل – أنَّ كلاً من فترتي طرفي النهار ، عبارة عن اختلاطٍ لزمنين اثنين ، زمن يعود لليل وزمن يعود للنهار .. الزمن يستحيل أن يتمَّ إدخالُه في زمنٍ آخر ، يعني : يستحيلُ إدخالُ زمن الليل في زمن النهار ، وزمن النهار في زمن الليل ، هذا مستحيل .. الإيلاج ، يكون ما بين عنصرين اثنين (هما هنا : الضياء والظلام) ، وهذا يكون في زمنٍ واحد ، هو أيٌّ من طرفي النهار .. يعني في

 ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾

زمن طرف النهار الأوَّل يتمُّ إيلاج الضياء بالظلام ، وكذلك الأمْر في الطرف الثاني للنهار يتمُّ إيلاج الضياء بالظلام .. الإيلاج هو ما بين العنصرين (الضياء والظلام) ..

.. ما يجب أن نعلمه ، أنَّ الزمن هو : إمّا ليل وإمّا نهار ، ولا يُوجَدُ زمنٌ يكون ليلاً ونهاراً في الوقتِ ذاته .. أبداً .. أبداً .. أبداً .. وهذا ما نراه في قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [يونس : 24]

.. أمرُ الله تعالى هو كلمح البصر :

﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل : 77]

.. أمْرُ الله تعالى الذي هو كلمح البصر ، عندما يأتي ليجعل الأرضَ حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس ، هذا الأمر ، عندما يأتي ، يكون الناسُ على وجه الأرض في حالين اثنين ، لا ثالث لهما :

1 – منهم مَن يكون في النهار .. يعني : يكونون في الفترة من بداية الطرف الأوَّل للنهار إلى نهاية الطرف الثاني للنهار ..

2 – والآخرون يكون في الليل .. يعني : يكونون في الفترة : ما بعد انتهاء الطرف الثاني للنهار وما قبل بداية الطرف الأوَّل للنهار ..

.. يعني : الناسُ في مكانٍ ما ، في كلِّ لحظة ، يكونون إمّا في الليل ، وإمّا في النهار .. وبما أنَّه يُوجَد منهم – في كلِّ لحظة من الزمن – مَن هُم في فترتي طرفي النهار ، فهذا يعني أنَّ فترتي طرفي النهار يستحيل انتماؤهما لليل والنهار معاً ، فهذا يتناقضاً مع دلالات العبارة ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ ، فكلمة ﴿ أَوْ ﴾ تؤكِّد ذلك .. يعني : فترتا طرفي النهار ، من المستحيل أن تكونا ليلاً ونهاراً في الوقتِ ذاتِه .. وبالتالي فكلٌّ منهما ينتمي : إمَّا للنهار (كما هو الأمر في الحقيقة) وإمّا لليل (وهذا مستحيل كما بيّنّا) ..

إذاً .. فترتا طرفي النهار ، لا يمكن أن تكونا طرفاً مشتركاً لكلٍّ من الليل والنهار معاً في الوقتِ ذاته .. وهذا ما وصلنا إليه في سياقِ هذا البحث ، من خلال الآيات الكريمة في كتابِ الله تعالى .. طرفا النهار هما جزءٌ من النهار حصراً ، ويستحيل انتماؤهما لليل ..

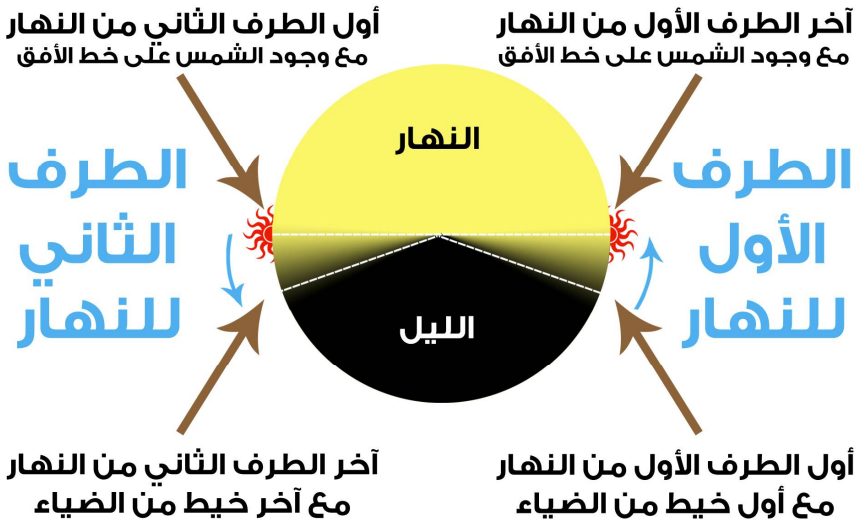

.. هذه الحقيقة ، من أنَّ الليل لا يُوجد فيه ضياء .. نراها في قولِه تعالى :

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد : 10]

.. العبارة : ﴿ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ ﴾ ، تعني أنَّه في الليل هناك عدم رؤية تكفي لأن يستخفي بها الإنسان عن أعين الآخرين .. وهنا نسأل : هل عند الغروب تكون حالة الرؤية صالحة لأن يستخفي بها الإنسان عن أعين الآخرين ؟ .. بعد الغروب بفترة جيّدة تكون الرؤية واضحة ، ومن المستحيل أن تكون مناسبة لأن يستخفي بها الإنسان ..

.. تتأكَّد معنا هذه الحقيقة – أيضاً – في بعض الآيات الكريمة ، من خلال الاحتباك ما بين جملها .. من المعلوم أنَّ الاحتباك يكون بوجود أمرين ، كلُّ أمرٍ منهما يقابل الأمر الآخر ، ويتّصف كلٌّ من هذين الأمرين بصفتين ، وبحيث تكون الصفتان متقابلتين فيما بين هذين الأمرين ، فتُذكَر الصفة الأولى مع الأمر الأوَّل ولا تُذكر مقابلتُها مع الأمر الثاني ، لِيُفهَم أنّ مقابلَتَها يتّصف بها الأمرُ الثاني .. وتُذكر مع الأمر الثاني الصفة الثانية ولا تُذكر مقابلتُها مع الأمر الأوَّل ، لِيُفهَم أنّ مقابلَتَها يتّصف بها الأمرُ الأوَّل .. مثلاً .. في قولِه تعالى : ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ ﴾ [آل عمران : 13] ..

.. الأمران هنا هما : فئة أولى : ﴿ فِئَةٞ ﴾ ، وفئة ثانية : ﴿ وَأُخۡرَىٰ ﴾ .. الفئة الأولى تتّصف بصفتين هما : 1 – ﴿ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ، 2 – مؤمنة .. والفئة الثانية تتَّصف بصفتين مناقضتين للصفتين اللتين تتَّصف بهما الفئة الأولى ، وهما : 1 – تقاتل في سبيل الشيطان ، 2 – ﴿ كَافِرَةٞ ﴾ ..

.. علمنا أنَّ الفئة الأولى تتّصف بأنَّها مؤمنة ، من خلال ورود نقيض هذه الصفة مع الفئة الثانية : ﴿ كَافِرَةٞ ﴾ .. وعلمنا أنَّ الفئة الثانيّة تتّصف بأنَّها تقاتل في سبيل الشيطان من خلال ورود نقيض هذه الصفة مع الفئة الأولى : ﴿ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ..

.. لو نظرنا في قولِه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾ [يونس : 67] .. لرأينا أنَّ الأمرين المتقابلين هما : ﴿ ٱلَّيۡلَ ﴾ ، و : ﴿ وَٱلنَّهَارَ ﴾ .. وكلٌّ من هذين الأمرين المتقابلين يتّصف بصفتين ، فالليل يتّصف بالسكون والظلمة .. والنهار يتّصف بصفتين مقابلتين لهما تماماً ،

هما الحركة والإبصار .. وقد ذُكرت صفةُ السكون مع الليل ﴿ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾ ، لنُدرِكَ مقابلتَها وهي صفة الحركة مع النهار ، ونرى أنَّه ذُكرت صفة الإبصار مع النهار ﴿ مُبۡصِرًاۚ ﴾ ، لنُدرك مُقابلتَها وهي صفة الظلام مع الليل .. فالليل إذاً آيته الظلام ، أي عدم الإبصار ، والنهار آيته الإبصار ..

.. هذا الأمر نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ ﴾ [الإسراء : 12]

.. ونراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾ [غافر : 61]

.. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النمل : 86]

.. وكون الليل خالياً من الضياء ، ولا يبدأ إلاَّ بعد غروب الشمس بفترة كافية لحلول الظلام بشكلٍ كامل ، وذلك بعدم وجود أيِّ خيط من الضياء ، نراه جليّاً في قولِه تعالى :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾ [الانشقاق : 16 – 19]

.. من نافلة القول أنَّ الشفق لا يزول وقت الغروب ، إنّما يزول بعد فترة تمتد إلى دخول الظلام بشكلٍ كامل .. فكيف إذاً يكون وقت الغروب من الليل ، والله تعالى يعطف الليل على الشفق ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

.. وفي هذا السياق سنقف عند العبارة القرآنيّة : ﴿ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ ﴾ ، وذلك في قولِه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس : 27]

.. هنا .. قد يُحتَجُّ بالعبارة ﴿ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ ﴾ على أنَّ هناك قِطَعاً من الليل غير مظلمة .. وهذا الاحتجاج ليس سليماً .. وذلك لعدّة أسباب :

۞ .. بيَّنَّا بما فيه الكفاية أنَّ الليل آيته الظلام ، وأنَّه خالٍ – كليل – من الضياء ، وأنَّه يبدأ بنهاية الطرف الثاني من النهار ، وينتهي ببداية الطرف الأوَّل من النهار .. وكتاب الله تعالى لا يحمل – في نصوصه الكريمة – دلالاتٍ متناقضة .. فعلى المتدبِّر لنصوصه أن ينظر إلى دلالات أيِّ آية كريمة من منظار دلالات الآيات الأُخرى المشتركة معها في ذات المسألة ..

۞ .. الاحتجاج بهذه العبارة القرآنيّة : ﴿ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ ﴾ ، على أنَّ الليل (كجسدٍ مجرَّدٍ عن أيِّ تأثيرٍ خارجيٍّ عليه ، كضوء القمر مثلاً) يتكوَّن من قِطَعٍ مُظلمة ، وقِطَعٍ غير مُظلمة ، وأنَّ التشبيه هو بالقِطَع المُظلمة .. هذا الاحتجاج ، ليس صحيحاً على الإطلاق ، لأنَّ كلمة : ﴿ مُظۡلِمًاۚ ﴾ ، لا تتعلَّق بكلمة : ﴿ قِطَعٗا ﴾ ، فهذه الكلمة : ﴿ مُظۡلِمًاۚ ﴾ تتعلَّق بمفرد ، وكلمة : ﴿ قِطَعٗا ﴾ تتعلَّق بجمع .. لو كان الأمر كما يذهب المحتجّون ، على الأقل ، على الأقل ، لاستُبدِلت كلمة : ﴿ مُظۡلِمًاۚ ﴾ في هذه العبارة – على سبيل المثال – بكلمة (**مُظلمة**) ..

۞ .. القول بأنَّ كلمة : ﴿ مُظۡلِمًاۚ ﴾ ، تُفيد أنَّه هناك حالات من الليل (كجسد مجرَّد عن أيِّ تأثير خارجي عليه ، كضوء القمر مثلاً ، أو كإنارة الناس فيه) لا يكون فيها مظلماً .. هذا القول .. ليس صحيحاً على الإطلاق ، لأنَّ كلمة ﴿ ٱلَّيۡلِ ﴾ تعني جنس الليل ، وتعني الليل كليلٍ كامل ، ولا يُوجَد ليلٌ خالٍ من الظلام ، فهذا التصوّر المُفترَض مبنيٌّ على وجود ليلين : ليل مُظلم ، وليل غير مُظلم ، وفي الوجود لا يُوجد ليلٌ غيرُ مُظلم .. التشبيه هو بقِطَعٍ من هذا الليل : ﴿ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ ، وليس بالليل ..

۞ .. إن اعتبر المحتجُّ ضِياءَ القمر كاسراً لظلام الليل ، بأنَّ المعني بالعبارة : ﴿ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ ﴾ هو قِطَعٌ من ليلٍ خالٍ من ضوء القمر ، أو من بعضِ أوقاتِ الليل الخالية من ضوء القمر ، فهذا الاعتبار يُنهي احتجاجَه من أساسِه ، فضوء القمر ليس خاصَّاً بقِطَعٍ محدَّدة بعينها من زمن الليل ، وضوء القمر – أصلاً – ليس من جسد الليل .. ضوء القمر دخيل على جسد الليل ..

۞ .. اختراق ضوء القمر لظلمة الليل في بعض الليالي ، لا يغيِّر من مفهوم الليل ، بأنَّه خالٍ من الظلام ، فضوء القمر – كما قلنا – هو دخيلٌ على جسد الليل الخالي من الضياء ، ودخوله على جسد الليل ، لا يعني أنَّه من جسد الليل .. مثله في ذلك كمثل الإنارة التي يقوم بها الناس في الليل بحيث يرون بها الأشياء .. فلا يمكن لعاقل أن يعتبرها من جسد الليل .. كذلك الأمر بالنسبة لضوء القمر في الليالي التي يكون فيها ضوء القمر قويّاً .. فضوء القمر الذي يجعل بعض الليالي مقمرة ، لا علاقة له بمفهوم الليل الخالي من الضياء ..

۞ .. إذاً .. وجود بعض فترات من الليل ليست مظلمة تماماً ، بسبب اختراق ضوء القمر في بعض الليالي ، لا يُؤثِّر على ما رأيناه في نصوص كتاب الله تعالى لمفهوم الليل ، فضوء القمر ليس من جسد الليل .. وهنا (وفق هذا المفهوم لليل ولكون اختراق ضوء

القمر لظلام الليل لا يُؤثّر على كينونته المجرّدة) ، يُحمَل الحال : ﴿ مُظۡلِمًاۚ ﴾ : ﴿ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ ﴾ على ليلٍ لا اختراق فيه لضوء القمر ، أو لغيره ممّا يعمله البشر من إنارة .. بمعنى : كأنّما أُغشيت وُجُوهُهُم قِطَعَاً من الليل ، الذي لا وجود فيه لأيِّ ضياءٍ قادمٍ إليه من أيِّ مصدرٍ ، كضياء القمر ... بمعنى : وُجُوهُهُم مظلمة كقِطَعٍ من الليل الخالي من أيِّ ضياء دخيلٍ عليه يخرق ظلمته ..

وهنا لسائلٍ أن يسأل : ضياء القمر الخارق لظلمة الليل ، والذي هو انعكاسٌ لأشعة الشمس من على وجه القمر إلى ليلنا الأرضي ، لماذا لا نعتبره جزءاً من جسد الليل ، وفي الوقت ذاته نعتبر انعكاس أشعة الشمس من على الغلاف الجوي إلينا في طرفي النهار (حيث تكون الشمس تحت الأُفق) جزءاً من ضياء النهار ؟ .. فما السبب في ذلك ؟ ..

.. نقول : لا وجود للنهار إلاَّ داخل طبقة الغلاف الجوي ، والغلاف الجوّي هو جزء من جسد الأرض ، وانعكاس أشعة الشمس من الغلاف الجوّي إلينا في طرفي النهار ، هو انعكاسٌ لأشعّة الشمس من جزء من جسد الأرض إلى جزءٍ آخر ، وذلك كانعكاس أشعة الشمس من الشوارع إلى داخل غرفنا وسط النهار .. فأشعة (سواء في طرفي النهار ، أم في وسطه) تنعكس من على جسدٍ أرضيٍّ إلى جسدٍ أرضي ... يعني : الانعكاس لأشعة الشمس (سواء في طرفي النهار أم في وسطه) يكون من داخل جسد الأرض وليس من خارجه .. يعني : أشعة الشمس دخلت جسد الأرض قبل انعكاسها ، وتمَّ الانعكاس لها من داخل الأرض ، وليس من خارجها ..

.. بينما انعكاس أشعة الشمس من على وجه القمر إلى ليلنا الأرضي ، يكون من على وجه القمر ، والقمر ليس جزءاً من الأرض ، ولا يمكن مقارنة هذا الانعكاس بانعكاس أشعة الشمس من الغلاف الجوّي للأرض إلينا في طرفي النهار ، ولا يمكن مقارنته بانعكاس أشعة الشمس من الشوارع والأبنية المجاورة إلى داخل غرفنا وسط النهار .. لا توجد أيُّ مقارنة بين الحالتين .. من هنا قلنا : انعكاس أشعة الشمس من على وجه القمر إلى ليلنا الأرضي ، لا يعني أنَّ هذا الضياء جزءٌ من جسد ليلنا الأرضي ..

.. إذاً .. الليل ، كليل ، هو مُظلِمٌ وخالٍ – في أساسِه دون مؤثِّر خارجي – من الضياء .. هذا المعنى لليل بأنَّه مُظلم ، وفيه يتم الاستخفاء ، نراه في قولِه تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ ﴾ [الأنعام : 76] .. فكلمة ﴿ ٱلَّيۡلُ ﴾ تعني الليل ، ولا تعني مجرَّد جزءٍ منه .. والعبارة : ﴿ جَنَّ عَلَيۡهِ ﴾ تعني ستر عليه وغطَّاه ، وجعل الظلام محيطاً به من كل جهة .. وهنا نسأل : هل هذه الحالة : ﴿ جَنَّ عَلَيۡهِ ﴾ ، من الممكن أن تتحقَّق وقت غروب الشمس ؟ .. طبعاً من المستحيل أن يكون ذلك ، هذه الحالة لا تكون إلى بعد انقضاء الطرف الثاني من النهار ، ودخول الليل حيث لا يوجدُ خيطٌ من ضياء ..

.. وهنا قد يتخيَّل بعضهم أنّه بمجرَّد رؤية أوَّل كوكب مع غروب الشمس ، يبدأ الليل ، وذلك اعتماداً على فهمٍ غير سليم لدلالات قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ ﴾ [الأنعام : 76] .. وهنا نقول : استشهادنا – بهذه العبارة القرآنيّة – ليس برؤية الكوكب .. استشهادنا هو بكلمة : ﴿ جَنَّ ﴾ كفعل متفرّع من الجذر (ج ، ن ، ن) ، ولا تُوجد ذرَّة شكٍّ أنَّ كلمة : ﴿ جَنَّ ﴾ تعني ستر وغطَّى .. ومن هنا نرى معنى كلمة : ﴿ أَجِنَّةٞ ﴾ : ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ

﴿ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ ﴾ [النجم : 32] .. بمعنى : وإذ أنتم مستورون غير مرئيّين ، كونكم في بطون أمهاتكم لم تخرجوا إلى هذا العالم ... ومن هنا .. نرى أيضاً معنى كلمة : ﴿ جُنَّةً ﴾ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [المنافقون : 2] .. بمعنى : اتّخذ المنافقون أيمانهم غطاءً وستراً ، يُخفون حقيقتهم خلفه ، فصدّوا بذلك عن سبيل الله تعالى ..... ومنه (**الجن**) كعالمٍ مخفيٍّ عن رؤيتنا له ..

.. الله تعالى لم يقل : (**فإذا بدا كوكبٌ فقد جاء الليل**) ، بمعنى : لم يضع مجيء الليل كنتيجة لظهور كوكب ، وذلك في سياق قرآني يتعلّق بالليل ومجيئه .. أبداً .. الله تعالى يقول : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ ﴾ ، واضعاً سترَ الليل لإبراهيم عليه السلام وتغطيته له من كلِّ الجهات : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ ﴾ ، مقدّمة لرؤيته هو الخاصّة به هو ، حيث رأى هو الكوكب الذي رآه : ﴿ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ ﴾ .. فرؤية إبراهيم عليه السلام الخاصّة لهذا الكوكب الخاص المذكور في القصّة ، كانت بعد أن غطّاه الليل وستره من كلِّ الجهات ..

.. الفترة ما بين الغروب إلى دخول الظلام (الطرف الثاني للنهار) ، لا تختلف من حيث الرؤية ، عن الفترة ما بين الفجر إلى طلوع الشمس (الطرف الأوَّل للنهار) ، وفي كليهما تُرى الكواكب .. ألا تُرى الكواكب في الطرف الأوَّل من النهار ، خصوصاً في بدايته بعد الفجر مباشرة ؟ .. أليس في الطرف الأوَّل من النهار (الذي تُرى فيه الكواكب) نكون صائمين ؟ ، ونكون خارج زمن ليلة الصيام (يعني خارج الليل) ؟ .. أليس الطرف الأوَّل من النهار (الذي تُرى فيه الكواكب) يأتي بعد انتهاء الليل ؟ .. فكيف إذاً يكون الطرف الثاني للنهار جزءاً من الليل ، بحجّة رؤية الكواكب فيه ؟!!! .. كيف أنَّ رؤية الكواكب في الطرف الأوَّل من النهار لا تجعله جزءاً من الليل (وهو

بالفعل ليس جزءاً من الليل) ، وفي الوقت ذاته يريدون من رؤية الكواكب في الطرف الثاني من النهار أن تكون دليلاً على أنَّه جزءٌ من الليل ؟!!!!!!! .. كيف ؟!!!!!!! ..

.. إذاً .. الاستشهاد بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ ﴾ [الأنعام : 76] ، من أجل إثبات انتماء الطرف الثاني من النهار إلى الليل ، وذلك بحجّة رؤية الكواكب فيه ، ليس سليماً على الإطلاق ، على الإطلاق ، فهذه العبارة الكريمة هي حجّة لنا ، وليست حُجّة علينا ، كما بيّنا ..

.. وهذا المعنى من الليل بأنَّه ساترٌ على البشر بسبب ظلامه الخالي من الضياء ، نراه أيضاً في قولِه تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴾ [الفرقان : 47] .. ونراه أيضاً في قولِه تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴾ [النبأ : 10] .. فهل حالة الفضاء المحيط بنا عند غروب الشمس تُحقِّق ما تنطق به هذه الآيات الكريمة ؟ ..

.. لو كان الله تعالى يريد الإفطار مع غروب الشمس ، لقال : ((**ثمَّ أتمّوا الصيام إلى الغروب**)) ، أو : ((**ثمَّ أتمّوا الصيام إلى غروب الشمس**)) .. وذلك كون الغروب مذكوراً في كتاب الله تعالى ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾ [ق : 39] ..... لكن ما نراه أنَّ الله تعالى يقول : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [البقرة : 187] ..

.. ولو نظرنا في الآية الكريمة التي تبيّن لنا متى يكون الإمساك ومتى يكون الإفطار ، لرأينا أنَّ العبارات التي تبيّن لنا متى الإمساك ، تحمل إشارة إلى أنَّ الإفطار (حيث الرفث إلى النساء والأكل والشرب) يكون حيث لا وجود لخيطٍ من ضياء :

﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ

﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ [البقرة : 187]

.. ما نراه أنَّ الرفث إلى النساء مُحلَّل في ليلة الصيام : ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ ، شأنه شأن الأكل والشرب : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ أي في الليل ، حيث كلمة : ﴿ لَيۡلَةَ ﴾ واضحة في بيان ذلك : ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ .. وما بين هذين الأمرين ، نرى تطابقاً تامّاً في تحديد مفهوم الليل .. فعند مطلع الفجر ، ينتهي زمن الليلة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ..... سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ [القدر : 187] ، وهذا هو ذاته ما تنطق به العبارة : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ ..

.. وهنا سؤال نطرحه على الذين يقولون بأنَّ الإفطار يكون مع المغرب : هل يحلُّ الرفث إلى النساء ، ما بين الفجر وطلوع الشمس ؟ .. بالتأكيد سيقولون : لا .. بعد ذلك نسألهم : لماذا : لا ؟ .. سيقولون لأنَّه مع الفجر تكون ليلة الصيام قد انتهت .. وهنا نسألهم : كيف تُقرّون بأنَّ الطرف الأوَّل من النهار هو ليس من الليل (وهذا صحيح) ، وتعتبرون – في الوقت ذاته – الطرف الثاني من النهار جزءاً من الليل ؟!!! .. كيف ؟!!! .. وعلى أيِّ أساس ؟!!! ..

.. كيف يكون الطرف الأوَّل من النهار ليس جزءاً من الليل ، وعلينا أن نكون فيه في حالة صيام (وهذا صحيح) .. بينما الطرف الثاني من النهار هو جزءٌ من الليل ، وفيه لا نكون في حالة صيام ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

.. ما ينطبق على الطرف الأوَّل من النهار – في مسألة الصيام – ينطبق على الطرف الثاني منه .. ما نعنيه : أنَّه بوجود خيطٍ من الضياء ، يبدأ الصيام ، وذلك بالامتناع عن الرفث والأكل والشرب ، ويستمرُّ الصيام إلى ذهاب آخر خيطٍ من الضياء .. أي لا إفطار بوجود خيطٍ من ضياء .. وفي طرفي النهار ، تتداخل خيوط الضياء مع خيوط الظلام ، وذلك بإيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل ..

البيان الإلهي في تحديد بداية فترة الصيام في اليوم ، من الطبيعي أن ينطبق (كمبدأ) على كامل فترة الصيام ، بحيث تمنع هذه الممنوعات ما دام هناك خيط من ضياء .. وتأتي العبارة : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ لتؤكِّد ذلك .. فما دام هناك خيطٌ من ضياء ، فلنعلم أنَّ الحالة هي صيام ..

.. ها قد يحلو لتائهٍ أن يقول : لقد وردت كلمة : ﴿ لَيۡلَةَ ﴾ ، وليس كلمة (**ليل**) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ ، يقول ذلك ليصل إلى ما يُملي عليه هواه ، أنَّ طرفي النهار هما من الليل ، وليسا من الليلة ..

.. هذه التصوّرات التائهة ، الناتجة عن البحث عن أيِّ شيء لتبرير أوهامٍ لا أساس لها إلاَّ في مخيّلة أصحابها ، هي – أيضاً – نتيجة جهلٍ كبير بلسان نصوص كتاب الله تعالى .. فكلمة : ﴿ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ في كتاب الله تعالى ، لم تُضف إلاَّ إلى السماء ، حيث الليل الكوني ، كما رأينا ، يملأ الفضاء الكوني :

﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات : 27 – 29]

.. فالليل يصف جنس الليل ، ولا يُوجد في كتاب الله تعالى مُصطلح (ليل كذا) ، لأنَّ الليل عنصرٌ معلومٌ بذاته ، ويعني جنس الليل ، ولا يُضاف لأيِّ شيء كتعريف إضافة

.. وهذا الأمر ينطبق أيضاً على النهار .. وبالتالي فتخيُّل ورود العبارة (ليل الصيام) هو جهلٌ فاضح بلسان كتاب الله تعالى ، ففي كتاب الله تعالى نرى أنَّ كلمة : ﴿ لَيۡلَةَ ﴾ هي ما يصف جانب الليل من اليوم ، وذلك في مسألة ما .. فالعبارة : ﴿ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ﴾ تصف لنا جزء الليل ، من اليوم الذي نصوم فيه .. مثلاً .. في قوله تعالى : ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ ..... ﴾ [البقرة : 196] ، نرى أنَّ العبارة ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ ﴾ لا تعني (3 × 24 = 72) ساعة من الصيام المستمر ، إنّما تعني السماح بالأكل والشرب والرفث ، فقط في ليلة كلِّ يومٍ من هذه الأيّام ، والتي تسمّى ﴿ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ﴾ لذلك اليوم ، ليكون باقي اليوم إمساكاً عن هذه الأمور ..

.. بما أنَّ الليلة تنتهي مع وجود أوَّل خيط من ضياء ، كما يُؤكِّد لنا كتاب الله تعالى وبشكلٍ جليٍّ لا اختلاف فيه ، فبالتأكيد تبدأ عند ذهاب آخر خيط من الضياء .. والرفث إلى النساء (وكذلك الأكل والشرب) مُحلَّل في ليلة الصيام ، وبالتالي مُحرَّم خارج فترة ليلة الصيام .. بمعنى : مُحلَّل حيث لا وجود لخيطٍ من ضياء ، ومُحرَّم حيث يُوجدُ خيطٌ من ضياء .. بمعنى : (الرفث والأكل والشرب) ، أمورٌ مُحرَّمة في طرفي النهار ، حيث تُوجد خيوط الضياء ، وهذا ما رأيناه من خلال دراسة النصوص الكريمة الحاملة لكلمة الليل .. فمحاولة الفصل بين مفهوم الليلة وزمن فترة الليل من اليوم ، هي محاولة ساذجة لذرِّ الرماد في الأعين ، ولا تُسعف أصحابها ..

ففي ليلة الصيام يُحلَّل الرفث ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ ، وكذلك يُحلَّل الأكل والشرب ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ ، وبالتالي يحرم – كلُّ ذلك – خارج فترة ليلة الصيام ..

ولا شكَّ أنَّ ليلة الصيام تنتهي عند مطلع الفجر حيث يتبيّن لنا أوَّل خيط من الضياء ، عند بداية الطرف الأوَّل من النهار ، وبالتالي تبدأ عند ذهاب آخر خيط من الضياء ، عند نهاية الطرف الثاني من النهار .. فهذه الأمور المحرّمة في الطرف الأوَّل من النهار ، وبنصِّ كتاب الله تعالى ، هي محرّمة في الطرف الثاني من النهار ، المناظر تماماً للطرف الأوَّل .. كلُّ الأدلّة في كتاب الله تعالى تتكامل وتتعاضد لبيان حقيقة مفادها أنَّ الصيام لا يتمُّ إلاَّ بدخول الليل ، بذهاب آخر خيط من الضياء ..

.. وفي هذا السياق لا بدَّ أن نقف عند دلالات كلمة : ﴿ إِلَى ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ، ولا بدَّ أن نقف عند دلالة كلمة : ﴿ حَتَّىٰ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [البقرة : 187] ..

.. من المعلوم أنَّ كلمة : ﴿ حَتَّىٰ ﴾ تفيد معنى انتهاء الغاية ، بمعنى : لاكتمال تبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وفي هذا توسعة .. ومن المعلوم أنَّ كلمة : ﴿ إِلَى ﴾ تعني – فيما تعني – تحقّق المتعلّق بها في بدايته ، بمعنى : ينتهي الصيام ، في بداية دخول الليل ، وفي هذا – أيضاً – توسعة .. هذا لا خلاف فيه ، ولم يقل أحدٌ غير ذلك .. فالإمساك يكون باكتمال تبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، والإفطار يكون في بداية دخول الليل ..

.. والاستشهاد بكلمة : ﴿ إِلَى ﴾ هنا ، لا يفيد شيئاً بالزعم أنَّ الليل يبدأ بالغروب ، لأنَّ هذه الكلمة – في سياقها النصّي – تعني : إلى بداية دخول الليل ، والخلاف هو : متى يبدأ الليل ، وقد بيّنا بما فيه الكفاية أنَّ الليل يبدأ مع ذهاب آخر خيط من الضياء .. فما يجب أن نعلمه ، أنَّ ذرَّ الرماد في الأعين ، لا يفيد شيئاً في إثبات ما يستحيل إثباته ..

.. وكلمة : ﴿ أَتِمُّواْ ﴾ : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ، تعني أنَّ الصيام ناقصٌ ما لم يستمر إلى بداية دخول الليل .. فإتمام الشيء هو تعويض ما يلزم لكي لا يكون ناقصاً : ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾ [الأعراف : 142] .. فالميقات وهو : ﴿ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ ، تمَّ باالليالي العشر ﴿ بِعَشۡرٖ ﴾ التي أُضيف ل ﴿ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ ، للوصول إلى : ﴿ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾ ، حيث تمَّ بذلك الميقات : ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾ ..

.. وما نراه هو ورود كلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ، حيث كلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ تفيد وجود مسافة فاصلة ما بين الأمر الذي قبلها والأمر الذي بعدها .. فما قبلها هو بداية الإمساك : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ ، وما بعدها هو الأمر بإتمام الصيام إلى الليل : ﴿ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ .. وكلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ تقع ما بين هذين الأمرين .. فما دام ما قبلها هو بداية الإمساك ، يعني بداية الصيام ، وما بعدها هو إتمام الصيام ، فلماذا لم يرد حرف العطف : (وَ) : (**وأتّموا الصيام إلى الليل**) ؟ ..

.. ما نستشفّه من ورود كلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ، أنَّه ما بين بداية إتمام الصيام لكي لا يكون ناقصاً ، وما بين بدايته كإمساك ، هناك مسافة زمنيّة ، تفصل بينهما .. فما نعلمه أنَّ الطرف الأوَّل من النهار تمَّ ذكره صراحة ، بأنَّه لا بدَّ أن نكون فيه في حالة إمساك من بدايته ، وذلك في العبارة السابقة لكلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ :

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ ﴾

.. وما بين بداية الإمساك (بداية الطرف الأوَّل للنهار) ، وبداية البدء بإتمام الصيام حتى لا يكون ناقصاً (وهو بداية الطرف الثاني من النهار ، حيث يعلم الله تعالى بعلمه الكاشف أنَّ البشر سيتحايلون ويفطرون مع الغروب) ، ما بينهما مسافة ، هي النهار وطرفه الأوَّل .. فبداية فترة إتمام الصيام تبدأ بالغروب (بداية الطرف الثاني من النهار) ، وبداية الصيام تبدأ ببداية الطرف الأوَّل من النهار ، وما بينهما مسافة كبيرة نسبيّاً ، تشمل النهار وطرفه الأوَّل .. هذا ما نستشفّه من ورود كلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ، والتي تفيد مسافة من الزمن ، بين الأمر الذي قبلها والأمر الذي بعدها ..

فالصيام الذي يبدأ مع الفجر (بداية الطرف الأوَّل للنهار) ، يجب الاستمرار فيه لما بعد الغروب (لما بعد بداية الطرف الثاني للنهار) ، ومن بعد الغروب ، تبدأ مرحلة إتمام الصيام لكي لا يكون ناقصاً .. ولا يتمُّ الصيام إلاَّ بدخول الليل ، حيث لا وجود لخيط من ضياء .. بمعنى : يا من أفطرت (ما بين الغروب وبداية الليل) ، اعلم أنَّ صيامك ليس تامَّاً ، وأنَّه ناقصٌ بمقدار ما يفصلك عن بداية الليل ، حيث لا وجود لخيطٍ من ضياء .. هذا ما نستشفّه من ورود كلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ، دون حرف العطف (وَ) ، في هذه العبارة الكريمة ..

.. ممّا سبق .. نرى أنَّ آيات كتاب الله تعالى ، متكاملة متعاضدة في بيان حقيقة مفادها أنَّ الصيام لا يتمُّ إلاَّ بالاستمرار فيه إلى دخول الليل ، وذلك بذهاب آخر خيط من الضياء ، وهذا لا يكون إلاَّ بعد انقضاء زمن الطرف الثاني من النهار ..

.. سنقف الآن عند تحليل مفهوم كلمة : (صَوْم) ، كما ترد في كتاب الله تعالى .. ما نراه أنَّ هذه الكلمة : (صَوْم) هي صيغة مصدر من الجذر : (ص ، و ، م) : صام يَصومُ صَوْماً ، وصيغة المصدر (المُحاكي لجذره اللغوي) شاملة لكلِّ دلالات تفرّعات

جذرها اللغوي ، فالصوم (كصيغة مصدر هي ذاتها حروف جذرها اللغوي) لا يعني فقط الامتناع عن الرفث والأكل والشرب ، إنّما يعني – أيضاً – الامتناع عن الكلام :

﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ [مريم : 26]

.. مريم عليها السلام ستأكل وتشرب قبل بدء صومها ، وفور رؤيتها لأحدٍ من البشر ستقول له : ﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ ، لتبدأ صومها ، ويُخبر – مَن خاطبته – الناسَ بأنَّها في حالة صوم ..

.. والقول بأنَّ الصوم يعني فقط الامتناع عن الكلام ، هو قمّة الجهل بصياغة كلمات كتاب الله تعالى ، فكيف لكلمة ﴿ ٱلصِّيَامُ ﴾ كصيغة غير محاكية لجذرها اللغوي ، ومتفرّعة عن المصدر المحاكي لجذره اللغوي : (صَوم) ، كيف لها أن تحمل دلالات ليست موجودة في مصدرها المتفرّعة عنه (صَوم) ؟ .. المصدر (المحاكي لجذره اللغوي) كساق الشجرة ، والصيغ المتفرّعة عنه كالأغصان والأوراق ، كلّها تستمُّد غذاءها عبر الساق ، من خلال الجذر .. كذلك هو الأمر بالنسبة للكلمات القرآنيّة ..

فالصوم كصيغة مصدر يحاكي جذره اللغوي ، يشمل كلَّ المعاني المتفرِّعة عن جذره اللغوي ، فيشمل أيضاً الامتناع عن الكلام ..... وما كتبه الله تعالى علينا ، ليس الصوم (من صيغة المصدر المحاكي لجذره اللغوي) ، وإنّما الصيام : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 183] .. فالصيام هو فرع من هذا المصدر (صوم) ، لا يشمل الامتناع عن الكلام ..

.. في نهاية هذا البحث أقول :

.. هذه دراسة منهجيّة علميّة ، حاملُها نصوص كتاب الله تعالى ، بعيداً عن أيِّ عصبيّة مسبقة الصنع ، وبعيداً عن أيِّ هوى مذهبيٍّ أو طائفي .. فكلُّ الأدلّة الواردة في هذا البحث ، من المقدِّمات إلى النتائج ، هي قرآنيّة ، و لم تُعرَض بأسلوب انتقائي ، لتبرير تصوّرٍ مُسبق الصنع ، فما رأيناه هو دراسة تعرَّضت لمعظم الآيات الكريمة التي لدلالاتها تعلُّق مُباشَر بهذه المسألة ..

.. والنتيجة التي خرجت بها من هذه الدراسة ، ليست انتصاراً لمذهب أو طائفة ، فهي تخالف الجميع ، فكما هو معلوم تُفطر الشيعة بعد الغروب بدقائق ، لكن ما توصّلت إليه من هذه الدراسة هو أن الإفطار – كما يبيّن كتاب الله تعالى – يكون بعد ذلك ، إلى أن يدخل الظلام بشكلٍ كامل ، حيث بداية الليل ، كما رأينا ..

.. وهذه النتيجة ليست فرضاً على أحد ، وليست موجَّهةً ضدَّ أحد .. الدافع الأوَّل والأخير من هذا البحث ، هو العمل بقوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص : 29] .. والدافع الأوَّل والأخير من نشره ووضعه بين أيديكم ، هو الخوف ممّا يحمله قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : 140] ..